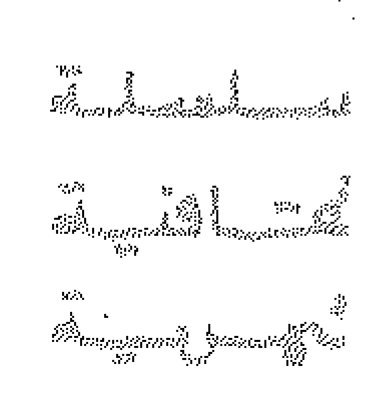


كتاب الهلال

سلسلة
ثقافية
شهرية

أولادنا..
والأمراض النفسية

د. كلير فهيم

٢٥٣

كتاب الهلال

KITAB AL-HILAL

سلسلة شهرية تصدر عن « دار الهلال »

رئيسة مجلس الإدارة : أمينة السعيد

نائب رئيس مجلس الإدارة : صبري أبو المجد

رئيس التحرير : د. حسين مؤنس

سكرتير التحرير : عايدعياد

العدد ٣٥٣ – جمادى الثانية ١٤٠٠ – مايو ١٩٨٠

No. 353 — May 1980

مركز الادارة

دار الهلال ١٦ محمد عز العرب

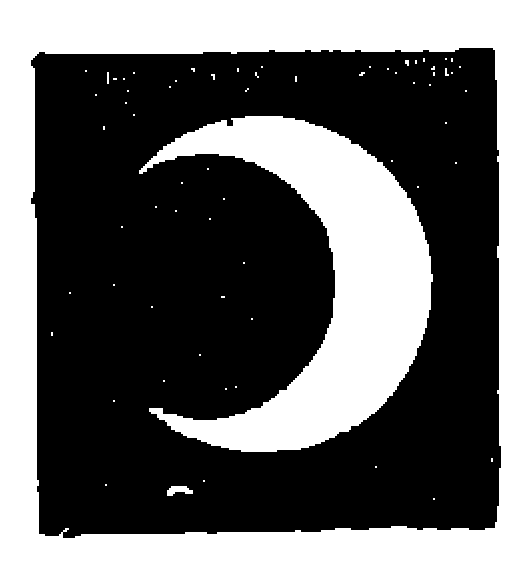
تليفون ٢٠٦١٠ (عشرة خطوط)

الاشتراكات

قيمة الاشتراك السنوي – ١٢ عددا – في جمهورية مصر العربية جنيهان مصريان بالبريد العادى • وبلاد اتحادى البريد العربي والافريقي وباكستان ثلاثة ونصف جنيه مصرى بالبريد الجوى • وفي سائر انحاء العالم سبعة دولارات بالبريد العادى وخمسة عشر دولارا بالبريد الجوى •

والقيمة تسدد مقدما لقسم الاشتراكات بدار الهلال في ج• م• ع• بحوالة بريدية غير حكومية وباقي بلاد العالم بشيك مصرفي لامر مؤسسة دار الهلال وتضاف رسوم البريد المسجل على الاسعار الموضحة اعلاه عند الطلب •

كتاب الهلال



سلسلة شهرية لنشر الثقافة بين الجميع

الغـــلاف بريشـــة :
الفنانة سميحة حسنين

د. كلير فهيم

أولادنا..

والأمراض النفسية

دار الهلال

الإهــداء

- اليك يا ذات ينابيع الحنــان المتفجرة من قلبك الــكبير الذى غمرت به الكثيرين من ابناء هذا الوطن المجيد ...
- اليك يا من احتضنت أطفال مصر جميعا ووجهت كل العــاملين فى مختلف ميادين الطفولة الى أن الطفل المصرى هو الأساس الذى يجب أن نبدأ به من أجل اقامة مجتمع قوى متماسك ..
- اليك يا سيدة مصر الأولى ..

((جيهان السادات))

اهدى اليك كتابى هذا تقديرا لك واعترافا بجليل أعمالك فى سبيل توفير نشأة سوية لأطفالنا كى يشبوا فى طريق مملوء بالنور والسلام والرفاهية .

د . كلير فهيم

مقدمة

حياة الأطفال عند من يعنيهم تنشئتهم ، تخيط الانسان بجو يدعو الى التأمل والتعمق ، تملأ نفسه أملا يتجدد ، لأنه يستطيع أن يتلمس عن كثب النفس الانسانية فى ليونتها وحيويتها وجمالها . على أن هذه المتعة الزاخرة بالحيوية المتدفقة بالجمال فى أرقى ابداعه ، لا يظفر بها ، الا من آمن فعلا بأن الطفل وحياة الطفل ينبغى أن يكون لها من رعايتها نصيب كبير ، اذا كنا جادين فى النهوض من الأساس بمهامها . ومما يؤسف له أن هذا الجانب لا يدركه كثيرون ممن يتعاملون مع الطفل سواء فى البيت أو فى المدرسة لأنهم يعجزون عن الحياة فى دنياه ، ويستخفون بما يجرى فيها ، فيقومون بهذا العمل على نسق آلى ، ولا يعنيهم من عملهم الا أنهم يؤدون واجبا مفروضا عليهم دون ايمان به ، أو ادراك له ، فلا تكون له فى نفوسهم هذه النشوة التى هى نعم الجزاء عما يتكبده الذى يقبل على عمله – فى عقيدة وايمان – من جهد وعناء .

وقد خطا المشتغلون بدراسة الطفولة فى مختلف مجالاتها ومراحلها خطوات لم تيسر لهم حل الكثير من مشكلاتها فحسب ، وانما أدت كذلك الى ما نلمسه من

وعى مطرد الزيادة والعمق ، لأهمية اثر هذه المرحلة فى حياة الفرد . فان تنشئة الطفولة لم تعد عملا تلقائيا يمكن ان يقوم به جميع الناس فى جميع المجالات دون عون ولكنها توجيه مستنير ، لتوفير النظرة السليمة لدى الوالدين نحو مشكلات الطفولة فى نطاقها الواسع ، وذلك عن طريق تزويدهم بآراء المتخصصين والاستعانة بخبراتهم .

وغايتى من هذا الكتاب بيان فائدة الطب النفسى والعلاج النفسى فى حل ازمات الأطفال والمراهقين ، وتوضيح مدى تكفل العلاج النفسى للأطفال بمساعدة المعنيين بأزمات الناشئين عن طريق تمكينهم من الفهم المستنير واعطاء التفسيرات النفسية لمظاهر الانحراف والجنوح . فالعلاج النفسى للأطفال هو الذى يصل بالمربى الى معرفة أنواع السلوك المستهجن الناتج عن اضطراب فى القوى النفسية ، ويوصله أيضا الى العثور على أصل هذا النوع من السلوك ومصدره فى اللاشعور . ويلى ذلك الخطوة التالية وهى هداية المربى او الوالد الى أنجع الوسائل لاعادة الطفل أو المراهق المضطرب أو الجانح الى سواء السبيل ، بحيث يتلاءم مع الأوضاع الاجتماعية السوية .

***

فى الجزء الأول من كتابى هذا قمت بايضاح مشاكل الطفل النفسية والسلوكية ، وأسبابها ، وأعراضها وعلاجها وطرق الوقاية منها . وفى هذا الجزء يتضح الى أى مدى تعتمد حياة الطفل فى كل مراحلها على ضرورة تزويده بجرعات كافية مشبعة من الغذاء الوجدانى الهام من بداية حياته .. وهو الحب .. حيث

ان الحرمان من الحب كثيرا ما يلوث النفس بالقسوة الحيوانية ويدفع المحروم الى انحراف سلوكه والى ارتكاب أبشع الجرائم .

***

وفى الجزء الثانى من الكتاب عرضت بعض الحالات النفسية التى قابلتنى فى أثناء ممارستى لمهنتى كطبيبة نفسية ، كى أوضح للآباء والأمهات أن الاضطرابات النفسية لأبنائهم مصدرها الظروف البيئية التى يعيشون فيها وهم أبطالها ، حيث يرتكبون أخطاء تربوية دون قصد فيكون لها أسوأ الأثر على حياة أبنائهم المستقبلية . كما أنى قمت فى نهاية كل مشكلة عرضتها فى هذا الجزء بايضاح دور الوالدين لتجنب مثل هذه الأخطاء . وأرجو أن يفهمهما الوالدان ومن ثم يحاولان تجنبها حتى ينشأ أبناؤهم فى حياة آمنة مستقرة تقيهم من الاضطرابات النفسية والسلوكية فى المستقبل .

ان الأغلبية الساحقة من المتاعب النفسية تحدث خلال السنوات الأولى من عمر الانسان ، وكثيرا ما تأتى نتيجة لأشياء صغيرة تصدر من الوالدين دون قصد ، ولا ينتبهان اليها ، غير أنها تصيب الطفل بهزة تتسرب الى عقله الباطن وتلوذ بتلافيفه ، حيث تبقى فى مكانها مختفية لتسيطر على حياته من بعيد ، ترسم له طريق العذاب فى كبره ، مما يدفعه الى الانحراف ، أو يقوده الى الجنون ، ما لم يتدخل الطب النفسى فى الوقت المناسب ، وينتزع أصول المتاعب من العقل الباطن ويطفو بها الى العقل الواعى حيث تذوب سمومها وينتهى أمرها .

فالطبيب النفسى اشبه بالرجل الذى يحاول أن يحفر

بئرا بملقاط صغير .. وأنا أحاول أن أحفر بئرا فى نفس كل مريض يدخل عيادتى حتى أصل الى أعماقه .. الى عقله الباطن .. لأستخرج الجـرثومة التى ترقد فيه ، والتى تسبب له مرضـه .. وليس فى يده من أدوات الحفر الا الملقاط الصغير الذى صنعه أطباء النفس على مر الأجيال ، وهى عملية تستمر شهورا وقد تستمر مدى حياة المريض وحياة الطبيب .

ومع ذلك فهى تعطى المريض فرصـة للتنفيس عمـا بصدره ، والشعور بأن هناك انسانا يهتم بأمره ، وهذا فى ذاته باعث على اطمئنانه ، والاطمئنان خطـوة أولى وحتمية لرؤية المشاكل على أبعادها الحقيقية ، فيستطيع أن يرى البذرة التى نبتت منها المشكلة ، والأرض التى نبتت فيها ، والعوامل التى ساعدت على ثباتها . وبذلك يستطيع أن يستنبط أكثر الوسائل فاعلية لحلهـا ، ثم يتجنب حدوث غيرها فيما بعد .

وأخيرا اذا استطاع هـذا الكتاب أن يوضح اهمية الطب النفسى للأطفال والعـلاج النفسى فى حل أزمات الأطفال والمراهقين من ناحيـة ، وأن يلقى الضوء أمام الآباء والأمهات ليهتدوا الى كيفية تنشئة أبنائهم تنشئة نفسية سليمة حاليا ، لوقايتهم من الاضطرابات النفسية مستقبلا ، كى ينعموا بحياة سعيدة هانئة دائما من ناحية اخرى .. فاذا استطاع أن يفعل هذا ، أو شيئا منه ، فذلك ما رجوت ، وما قصدت اليه .

الجزء الاول :

الإضطرابات النفسية عند الأطفال وعلاجها

يتجه الطب الحديث فى العصر الحالى الى توجيه العناية لحماية ورعاية الناحية الجسمية للطفل . وفى سبيل تحقيق ذلك بذلت الجهود لحمايته مما يهدده من الأمراض الجسمية المعدية والوراثية كشلل الأطفال وروماتيزم القلب والدفتريا عن طريق تحصينه ضد هذه الأمراض .

وقد تحقق له ذلك أخيرا . ولكن مما يدعو للأسف أنه لم يبذل الا القليل من الجهد لتحقيق الصحة النفسية والعقلية للطفل ، وعلى الرغم مما يتجه اليه نشاط المراكز الاجتماعية ومراكز الطفولة والأمومة والعيادات النفسية لتوجيه الوالدين الى كيفية تنشئة الطفل التنشئة النفسية السليمة ، الا أن عدد الأطفال المضطربين نفسيا فى تزايد مستمر .

فالاضطرابات النفسية عند الأطفل ، كانت الى عهد قريب مهملة ولم تحظ بالعناية الكافية كمشكلة تدعو الى الاهتمام ، وفى أغلب الأحيان يلفظ الطفل المضطرب نفسيا أو سلوكيا من المدرسة العادية لأنه غير قابل للتعليم ، أو يقيد فى مدرسة خاصة لتعليم الأطفال المتخلفين عقليا والمصابين فى المخ .

وقد بدأت العناية فى السنوات الأخيرة تتجه نحو انشاء الميادات النفسية للأطفال حيث يتردد عليها عدد كبير منها أطفال المدارس المضطربين نفسيا ، وهذا العدد فى تزايد مستمر .

وقد ذهب فرويد الى أن الأسباب الجذرية للاضطراب النفسى للطفل ترجع الى اضطراب العلاقة بين الوالدين والطفل فى حياته الأولى ، وهذا الرأى ما زال شائعا حتى الآن بين القائمين والمهتمين برعاية الطفل ، ولكن الذى يذهب اليه حاليا الاخصائيون النفسيون والأطباء النفسيون هو أن الاضطراب النفسى والعقلى للطفل ينتج من ثلاثة مؤثرات :

١ ـ عوامل الاستعداد الجسمى والوراثى .

٢ ـ المؤثرات داخل الأسرة وتشمل أيضا المؤثرات الفردية .

٣ ـ الضغوط التى يتعرض لها الطفل فى كل مرحلة من حياته .

***

والطفل السعيد الحظ هو الطفل الذى يتمتع بوراثة طيبة ، ورعاية مناسبة من والدين يكون لهما القدرة على فهم حاجاته النفسية فى حياته الأولى ، مع عدم تعرضه الا الى أقل ما يمكن من الضغوط فى مراحل النمو المختلفة .

ومما يدعو الى الملاحظة حاليا أن هذه العوامل الثلاثة يبدو أنها اتحدت وتآمرت ضد النمو الانفعالى السليم للطفل المصرى وذلك لما يأتى :

أولا : هناك عدد كبير من الأطفال يولدون غير كاملين ،

ويتعرضون لصعوبات فى الولادة ، والبعض الآخر يعانون من مضاعفات الحمى أو غيرها من الأمراض الفيروسية المعدية . وكذلك قد ينشأ بعض الأطفال فى اسر يعانى والداهم انفسهم من اضطرابات عقلية أو نفسية مما يؤدى الى اصابتهم بالاضطراب النفسى .

ثانيا : نظرا لأن المجتمع فى العصر الحالى أصبح متجها نحو المدنية والتطور ، وأصبح عمل المراة من القيم الهامة فى المجتمع الجديد ، مما دفعها الى قضاء فترة من الوقت خارج المنزل وكانت من قبل تقضيها كلها مع أسرتها وأبنائها ــ فى المرحلة الأولى من الطفولة التى يحتاج فيها الطفل الى وجود أمه بجانبه ، فهذا الاتجاه يهدد الترابط الأسرى وينعكس اثره على العلاقات داخل الأسرة مما يؤدى فى النهاية الى ظهور الاضطرابات النفسية بين الأطفال .

ثالثا : أصبح الأطفال فى مجتمعنا الحالى المتطور ، لديهم القدرة على معرفة العالم المحيط بهم بواسطة التليفزيون ، وكثير مما يراه ويسمعه الأطفال من اشتعال الحروب ، واستخدام العنف والقسوة ، والثورات الاجتماعية ، يتأثر به الأطفال ، وتصبح النتيجة النهائية ممارستهم العنف والقسوة فى جميع المواقف التى يتعرضون اليها .. فكلما كثرت مشاهدة الطفل للقسوة والعنف أصبح هو نفسه عنيفا وقاسيا .

مما سبق يتبين أن الاضطرابات النفسية للأطفال تنتج من عوامل متعددة يتعرض لها الأطفال فى المراحل الأولى من حياتهم .. وسوف أعرض فى هذا الجزء من الكتاب باختصار اهم الاضطرابات النفسية التى تصيب الطفل وطرق علاجها والوقاية منها .

الإنطوائية عند الأطفال

كثير من الأطفال يشبون منطوين على انفسهم خجولين ، يعتمدون اعتمـــادا كاملا على والديهم ويلتصقون بهم ، لا يعرفون كيف يواجهون الحياة منفردين ، وتظهر كل هذه العيـــوب واضحة حين يبلغ الطفل سن دخوله المدرسة ، فى السن التى يجب أن يتصرف فيهـــا مستقبلا ، وأن يواجه الحياة خارج البيت ، والأشياء التى لم يتعودها ، ومن المفروض عندما يصل الى هذه السن أن يكون قد تهيأ لأن يـكون مسـتقلا ومستعدا لمواجهة المواقف المختلفة .

ولـكن الذى يحـدث أن تجد الأم نفسها أمام طفل خجول ، خائف ، متردد ، منطو ، ملتصق بها ، ويمسك بطرف ثوبها ويعجز تماما عن أن يقف موقفا ايجابيا فى حياته الجديدة . أما الأسباب التى تؤدى بالأطفـال الى الانطواء والخجل والاعتماد على الآخرين وعدم القـــدرة على الاجابة على الأسئلة او الاستعانة بالمدرسة على فهم الأشياء الغامضة ، تلك الأسباب هى :

(١) قسوة الاب :

ان الأب الذى يسلك سـلوكا عدوانيا فى البيت مع الزوجة والأولاد يسبب مخاوف غامضة للطفل ويشعره

بأن من واجبه أن يكون مستعدا للدفاع عن نفسه ضد العنف والعدوانية والخشونة لأن العراك المستمر بين الأب والأم يشعر الطفل بعدم الأمان ويخيفه من العناصر العدوانية التى تكمن داخل طبيعته .

(٢) مخاوف الام :

يتأثر الطفل بمخاوف الأم وقلقها الزائد عليه ، فتجعله يخشى أن يخوض التجارب الجديدة .. ان الأم تحب طفلها وهو أثمن ما لديهـا ، ولذلك تشعر بأن عليها أن تحميه وأن تحول دون انطلاقه ، ومن الطبيعى أن تفعل كل أم ذلك . ولكن الحمـاية الزائدة تجعلها تشعر بأن طفلها سوف يتعرض للأذى فى كل لحظـة .. وبدون قصد تملأ الطفل بشعور بأن هناك مئات من الأشياء غير المرئية التى يمتلىء بها العالم والتى تشكل خطرا عليه . ان مثل هذا الطفل يشعر بأن المكان الوحيد الذى يشعر فيه بالاطمئنان هو الى جوار امه . ان مثل هذا الطفل يشعر بالخوف ولا يستطيع أن يعبر الطريق بمفرده أو يستمتع بالجرى أو اللعب أو بالسباحة فى البحر . انه يتوقع فى كل لحظة أن يصاب بأذى .. فيظل منطويا بعيدا عن محاولة شىء من ذلك أو مما يشابهه .

(٣) عدم الاختلاط بالأطفال الآخرين :

أحيانا يصل خوف الأم على طفلها الى درجة تؤدى الى منعه من الاختلاط واللعب مع الأطفال الآخرين ، خوفا عليه من تعلم بعض السلوك غير المرضى أو تعلم بعض الألفاظ غير اللائقة ، فيصبح طفلا منطويا ، يفضل العزلة ، ويخشى الاندماج فى اى لعبة مع الأطفال الآخرين ، وينمو هذا السلوك فى داخله الى أن تظهر مساوىء هذا الاتجاه

حين يصبح فى مرحلة يشعر فيهـا برغبته وحاجته الى الاختلاط وعدم قدرته على تنفيذ ذلك .. فيصاب نتيجة لذلك بالقلق النفسى والاكتئاب ، والشعور بالنقص وعدم الرضا عن نفسه وعن الآخرين ويبدا الشعور بالملل والسأم من الحياة وأحيانا عدم الرغبة فيها .. كل ذلك يرجع الى الانطواء الذى غرست جذوره فى الطفـولة والذى يؤدى الى عدم الثقة بالنفس والأنانية وعدم القدرة على الاعتماد على النفس ومواجهة الحياة .

العــــلاج

ينبغى توفير الجو الهادىء للأطفـــال فى البيت وأن لا نعرضهم للمواقف التى تؤثر فى نفوسهم وتشـــعرهم بالقلق والخوف وعدم الاطمئنان . ويتحقق ذلك بتجنب القسوة فى معاملتهم ، والمشاحنات التى كثيرا ما تقوم بين الوالدين ، لأن ذلك يجعلهم قلقين يخشون الاختلاط بالآخرين ويفضلون الانطواء ، وعدم مواجهة الحياة بثقة واطمئنان .

كذلك ينبغى على الأم اخفاء قلقها الزائد ولهفتها على طفلها ، وأن تتيح له الفرصة ليعتمد على نفسه وأن يواجه بعض المواقف التى تؤذيه بهدوء وثقة ، فكل انسان لديه غريزة طبيعية يولد بها تدفعه الى المحافظة على نفسه وتجنب المخاطرة ، فالطفل يستطيع أن يحافظ على نفسه أمام الخطر بغـــريزته الطبيعية التى تجعله يتمسك بالحياة .

كذلك على الأم أن تتيح للطفل حياة اجتماعية مناسبة له حيث يلتقى بأبناء جيله ، ويكتسب من صداقتهم له

الشعور بوجوده وانسانيته . ان ذلك يساعده على الاحساس بالسعادة والثقة والانطلاق ويقيه من الانطواء والانزواء والخوف واليأس .

فالشخص الذى تتاح له فى طفولته فرصة الاستمتاع بالحياة الاجتماعية السليمة ، وتهيأ له أسباب الاختلاط بالناس وعقد الصداقات ، مثل هذا الشخص من المستحيل تقريبا أن يصاب بالاضطراب النفسى أو العقلى حتى لو كان تعسا فى أسرته ، فوجوده خارج البيت بين أقرانه أو مشاركته لأبناء جيله وممارسة الأنشطة المختلفة ، يزوده بالطمأنينة النفسية التى يفتقدها فى بيته وتعوضه خسارته فى أسرته الصغيرة بالكسب العظيم الذى يجنيه مع أسرة المجتمع الكبيرة .

واخيرا فانه فى يد الأم مفتاح السعادة أو الشقاء ، مفتاح الثقة أو الخوف ، مفتاح الأمل او اليأس ، فعليها أن توفر لطفلها السعادة والثقة والأمل كى تسعد به ويسعد به الوطن مستقبلا .

الشعور بالنقص وضعف الثقة بالنفس

لا يخلو الانسان من عدم الشعور بالنقص لسبب ما ، ويؤدى ذلك الى الاضـــطراب النفسى اذا كان اتجــاه الشـخص سلبيا تجاه هذا النقص . أما الشخص الايجابى فانه يلجأ الى مواجهـــة المشكلة بطريقة ايجابية سليمة فيعوض نقصه بالتفوق والنبوغ فى النواحى السليمة فى الشخصية ، وقد يلجـــأ الى تدريب العضو الضعيف وعلاجه .

امثلة :

أ ــ كان نابليون قصير القــامة وقد عوض هذا النقص بالتفوق العسكرى .

ب ــ كان طه حسين ضريرا وقد عوض هذا النقص بالتفوق الذهنى الأدبى .

أما اذا كانت الشخصية التى تشـــعر بالنقص تتجه اتجاها سلبيا ، انطوى الشخص على نفسه وأصبح ضعيف الشخصية مترددا لا يستطيع البت فى أموره وقضـــاء حاجاته بسهولة ، وقـــد تظهر اعراض مرضية نفسية نتيجة لهذا الشعور مثل : التبول اللاارادى ، التهتهة ، القيء الهستيرى ، أو اى أعراض هستيرية اخرى .

العوامل التى تؤدى الى الشعور بالنقص وعدم الثقة بالنفس :

(١) العوامل الطبيعية للشعور بالنقص :

يلاحظ أن مجموع الظروف المحيطة بالأطفال تجعلهم عادة يشعرون بشيء من النقص ، فالطفل بطبيعته نتيجة لصغر سنه وجسمه ، ولضعفه واعتماده على والديه ، ونظرا لقصور ادراكه ، يشعر بأن أمه واباه بنوع خاص مخلوقان قويان عظيمان ، وبالتـــــالى يشعر بأنه فرد ضعيف . ولذا نلاحظ أن نفس الطفل تتوق لأن يكبر ، وتتعطش للنمو وكسب القوة . فهو يقلد أمه واباه فى كل أمر تقريبا لأنه يريد أن يكبر مثلهما ، وهو يفرح لأى ظاهرة عنده من مظاهر النمو . فكأن ضعف الطفل وقوة من حوله يشعرانه بضآلته ونقصه وضعفه ، ويتضاعف أثر هذا الشعور بفعل بعض التغيرات الحادثة فى مجال حياته كتكرار الحوادث التى تقع بفعل القضاء والقدر أو بسبب معاملة الوالدين .

(٢) القصور الجسمانى والعقلى :

أ ــ الضعف العام : يؤثر ضعف الحيوية على ثقـــة الطفل بنفسه وذلك لعدم قدرته على عمل ما هو مطلوب منه ، وهو يجد صـعوبة التوافق والانسجام مع نظرائه ويشعر بأن الحيـــاة صعبة وأنه مكروه من جميع من حوله . ويمكن مساعدة هذا الطفل لو عرفنا سبب هذا الضعف .. فقد يكون سوء التغذية وفقدان الشهية ، وتسوس الأسنان ، والتهاب اللوز المزمن .. وكلهـا عوامل لا تبدو فى شكل مرض يقعد الطفل ولكنها تضعف من حيويته فلا يستطيع أن يجـــارى زملاءه فى اللعب

ولا يستطيع ان يؤدى واجباته كاملة . فاذا عولج السبب وأعطى الطفل المقويات والفيتامينات زال عنه الضعف واكتسب حيوية تساعده على التوافق وتجنبه الشعور بالنقص وعدم الثقة بالنفس .

ب ـ التشوهات الخلقية والعيوب الجسمية : قد يكون لدى الطفل بالاضافة الى ضعفه الطبيعى نقص جسمانى خاص كالشلل أو العرج أو النحافة أو البدانة او فرط القصر أو فرط الطول أو فقدان أحد الأطراف ، او وجود علامة خلقية كبيرة تشوه منظره ، وكلها عوامل تسبب للطفل الشعور بالنقص ، وتتوقف صحة الطفل النفسية على اتجاه الأبوين نحو هذه المشكلة : فاذا كان اتجاه الأبوين ايجابيا بقبول الطفل على ما خلق عليه ، مع محاولة تنمية القدرات السليمة الأخرى فانهما يساعدان الطفل كثيرا على التوافق مع المجتمع ، وبذلك يلجأ الطفل الى التعويض عن نفسه والتوافق مع بيئته .

اما اذا كان اتجاه الأبوين سلبيا عن طريق السخرية ، او العطف الزائد الذى من شأنه أن يركز انتباه الطفل على عاهته فيلجأ الطفل الى حلول مرضية مختلفة كالتبول اللا ارادى ـ التهتهة ، أو يصبح شخصا راكدا ، منزويا ، غير ميال للنشاط ، او شخصا ناقما ثائرا يتجه فى كثير من الأحيان بنقمته وثورته ضد المجتمع وأنظمته وآدابه وتقاليده .

(ج) فقدان الحواس أو ضعفها :

١ ـ النظر : قد يسبب ضعف النظر لدى الطفل الشعور بالنقص نتيجة كثرة الأخطاء وعدم ميله للقراءة

والـكتابة .. ويسهل علاج هذه الحالة بعمل النظارات اللازمة ووضع الطفل فى مقدمة الفصل ، أما فى حالة فقد البصر كلية فيوضع الطفل فى المعهد الخاص بذلك حيث تستعمل حاسة اللمس فى القراءة والـكتابة بطريقة برايل .

٢ ـ السمع : تعتبر حاسة السـمع ـ من أهم الحواس للتفاهم مع الناس ، كما يجد صعوبة فى التعبير عما بنفسه وعما يريد . لذلك فالأطفال الصم والبـكم يكونون أكثر تعرضا للشعور بالنقص وفقد الثقة بالنفس عن الأطفال العميان .. واذا كان ضعف السمع بسيطا سبب ذلك عدم قدرة الطفل على التركيز وسبب اخطاء فى الفهم وارتباكا للطفل ويمكن مساعدة الطفل فى هذه الحالة باستعمال سماعة خاصة به .. اما الأطفال الصم والبكم فيتم توجيههم بالحاقهم بالمعهد الخاص بهم وهم يتعلمون فهم الـكلام عن طريق حركات الشفاة ويتعلمون التفاهم والتعبير عن طريق الاشـارات أو تقليد حركات الشفاه مع وضع اليد على الحنجرة للتـأكد من صحة الأصوات .

(د) التأخر الدراسي :

يؤدى وضع الطفل فى فصل لا يتناسب مع ذكائه الى شعوره بالنقص واضطرابه نفسيا ، لعجزه عن متـابعة الدروس وتفوق زملائه عليه . كما أن وجوده فى سنة دراسية كل أطفالها أصغر منه فى السن ، قد يشعره بالبؤس فيفقد احترام نفسه وتقـديره اياها . ومن الجائز أن يكون تأخر الطفـل دراسيا هو كثرة تنقلات الوالدين من جهة الى أخرى وبالتالى كثرة تنقل الطفل

من مدرسة الى اخرى ، وارتباكه فى تحصيله العقلى تبعا لذلك . فاذا حدث هذا التأخر ، وكان ذكاء الطفل يسمح له بالتقدم فيحسن مساعدته حتى يصل الى المستوى المناسب له ، ثم يترك بعد ذلك ليشق طريقه بنفسه .

ويحسن ان يقف الطفل على الأسباب التى أدت الى تأخره ، فكثيرا ما تغيب هذه الأسباب عن ذهن الطفل بل عن ذهن الوالدين . ووقوف الطفل والوالدين والمعلمين على عوامل تأخر الطفل يجعلهم أقدر على التحكم فيها . ومن الجائز أن يكون الطفل مصابا بقصور حقيقى فى استعداده الذهنى ، وفى هذه الحالة ينبغى وضعه فى فصل دراسى يتناسب مع مستواه العقلى ، كى نجنبه الشعور بالعجز وفقد الثقة بالنفس .

(٣) اثر الموازنات :

مما يزيد احساس الطفل بالنقص أن نحط من قيمته بالموازنة . فكثيرا ما يوازن الآباء بين طفل وطفل آخر بقصد دفع الطفل المتأخر الى العمل والنشاط ، وهذا النوع من الموازنات يأتى غالبا بأسوأ النتائج . لذلك ينبغى ان تكون القـــاعدة هى عدم الموازنة وأن يستبدل النقد والتوبيخ والزجر بتشجيع الطفل واشعاره بما فيه من النواحى الطيبة وابراز هـذه النواحى بصورة راسخة محسوسة . كذلك ينبغى المساواة فى المعاملة بينه وبين اخوته قدر الامكان لاعادة الثقة فى البيئة المحيطة واعادة الثقة فى الذات .

(٤) عدم اعتماد الطفل على نفسه :

ولعل من أكبر أخطاء الوالدين أنهم لا يتركون الأطفال يفكرون لأنفسهم ، أو يعملون لأنفسهم . فبعض الآباء

يتدخلون فى تفكير الطفل وحديثه وعمله ولعبه بمناسبة وبغير مناسبة . وواجبنا أن نترك الطفل يعتمد على نفسه ويكسب كثيرا من خبراته بنفسه ، فنتركه يلعب،ويتسلق، ويجرى ، ويقفز ، ويبحث عن الأشياء ويجرب .. الى غير ذلك ... فالحماية الزائدة للطفل تحرمه من ممارسة النشاط الطبيعى الذى يستمد منه الثقة بالنفس ويتعلم منه خبرات كثيرة فى الحياة .. فبقاء الطفل معتمدا على غيره فى شئونه الخاصة ، المأكل والملبس وحرية الخروج وغير ذلك بالرغم من بلوغه سن مناسبة يفقده الثقة بالنفس (السن المناسبة للسماح للطفل بالاعتماد على النفس والاستقلال هو خلال المرحلة الابتدائية) .

(٥) السلطة الوالدية :

انشدة الزائدة والقسوة والعقاب لأتفه الأسباب واصرار الوالدين على الطاعة العمياء بدون مناقشة أو تفاهم ؛ تفقد انطفل أهم سلاح يجب أن نسلحه به ، وهو الثقة بالنفس وخصوصا فى حالات العقاب بالضرب .

(٦) العلاقات بين الوالدين :

اذا كان الجو الأسرى مليئا بالمحبة والعطف والهدوء والثبات يكون الطفل فى الغالب مطمئنا على نفسه ، واثقا من نفسه ، يظهر دائما بمظهر الاستقرار والثبات ، بعكس الطفل الذى ينشأ فى أسرة تسودها الاضطرابات والخلافات والمنازعات بين أفرادها ، ففى هذه الحالة يشعر الطفل بعدم الأمان والاستقرار ، ويؤدى ذلك الى فقدانه الثقة بنفسه نتيجة لفقدانه اطمئنانه الى الجو المنزلى .

فليكن المنزل متصفا بالطمأنينة والثبات والاتزان ، كى يستطيع الطفل أن ينمو معتمدا على نفسه .

مظاهر الشعور بالنقص وضعف الثقة بالنفس :

أهم هذه المظاهر : الجبن والانكماش والتردد ، وتوقع الشر ، وعدم الاهتمام بالعمل والخوف منه ، وأحيانا يكون من مظاهره التشدد والمبالغة فى الرغبة فى الاتقان للوصول الى درجة الكمال . وهذا الاندفاع للكمال يدل على ما تحته من خوف من نقد الآخرين . ومن مظاهره كذلك أحلام اليقظة ، وسوء السلوك ، والمبالغة فى التظاهر بطيب الخلق ، والحالات العصبية والمرضية كالتهتهة ، والتبول ، وبعض حالات الشلل الهستيرى ، وغير ذلك .. ومعنى هذا ان ضعف الثقة بالنفس — مع اختلاف العوامل التى تؤدى الى ظهوره — قد يؤدى الى أساليب انسحابية أو سلبية كالكسل أو الانزواء أو الجبن وما الى ذلك . وقد يؤدى الى أساليب تعويضية كالنقد والسخرية والتحكم والوقار المصطنع وما الى ذلك ، وقد تظهر هذه الأساليب السلوكية المتنوعة فى صور مرضية .

العلاج

ولعلاج شعور الطفل بالنقص وعدم الثقة بالنفس ، يتحتم دراسة العوامل التى تؤدى الى ظهور هذه الأعراض ثم تعديل سلوك الوالدين والمربين تعديلا يترتب عليه معاملة الطفل المعاملة المؤدية الى عودة الثقة الى نفسه واختفاء شعوره بالنقص .

واخيرا فان شعوره بتقدير الكبار من أفراد أسرته لما

يفعل ، ينبه فيه خير ما عنده ويبعث لديه الحماس للقيام بخير ما يستطيع . أما اذا لقى الاستهانة والتحقير أو الاشاحة وعدم الاكتراث فلن يثبت ذلك فى نفسه الا الشعور بالمرارة والعجز ، ذلك ان قدرات الطفل تتغذى وتنمو على التشجيع ولكنها تضمر وتموت بالتقريع والتثبيط والاهمال ، ولا يعنى هذا الا ينتقد الطفل أو يراجع اذا أخطأ ، والا يحفظ من التعرض لأخطار يؤذيه التعرض لها فعلا .. ولكن ما أبعد الفارق بين المراجعة فى رفق والوقاية فى هلع أو الاشاحة فى اهمال وازدراء أو اللوم فى تحقير وعنف .

ان الكبار الذين تعوزهم الثقة بالنفس كانوا أطفالا لم يحاطوا بالفهم والمساندة والتشجيع ولم تسعد قلوبهم بكلمة ثناء قط . وان قوة الخلق والشخصية والشجاعة والعزم والأمانة والاتزان والثقة بالنفس والرغبة فى أن يكون الانسان خيرا ، انما تنبت كلها من شعوره كطفل بدفء الجو الذى يعيش فيه ومن خبرته بأنه موضع الحب والثقة والاحترام . وأن جهوده تلقى من المساندة والتشجيع ثم من الثناء والتقدير ما تستحق .

وما أكثر ما يعرض للأسرة من فرص لتنمية هذه الفضائل فى صغارهم كل يوم .

القلق النفسى فى الطفولة

القلق النفسى هو حالة من التوتر المصحوب بالخوف وتوقع الخطر .

انواع القلق :

قلق طبيعي : اى الذى ينتج عن متاعب خارجية واضحة ، ومقدار القلق هنا مناسب لمقدار المتاعب ويزول بزوال السبب .

عصاب القلق ، اى الذى يرجع إلى الصراع النفسى ولا يزول بزوال السبب ولكن يحتاج الى العلاج النفسي : كالخوف من الظلام أو العفاريت أو الخيالات .

القلق الثانوى : أى الذى يصاحب الأمراض النفسية الأخرى كالوسواس القهرى ، أو الذى يصاحب بعض الأمراض العقلية المبتدئة كالفصام ، وهذه الحالات تحتاج الى علاج المرض الأصلى ، وسبب القلق فيها هو مقاومة بعض الأعراض كالوسواس .

القلق النفسى والطفل :

قد يبدو غريبا للكثيرين من الناس ان يسمعوا أن الطفل الصغير يمكن أن يعانى من القلق . صحيح أن الطفل الصغير لا يستطيع أن يفهم ما يدور حوله عن طريق الادراك

الذهني ، ولكن وسيلة الطفل الى المعرفة فى هذه الفترة المبكرة من الحياة هى الشعور . ولايضاح ذلك نقول ان الطفل يستطيع عن طريق شعوره أن يميز فى نغمة صوت أمه بين الرضى والهدوء أو الغضب والقلق والانزعاج ، ويستجيب لكل حالة من هذه الحالات بما يلائمها ، وذلك قبل أن يكون قد وصل الى المرحلة التى يستطيع ان يفهم فيها ما يسمع من كلام .

شعور الطفل اذن هو وسيلة فى اكتساب المعرفة والخبرة ، وهو أيضا وسيلته الى الطمأنينة او الى القلق، فلو أحس الطفل بالجوع وأعلن عن ذلك بالبكاء ثم لم يقدم له الطعام فانه يستمر فى بكائه فترة من الوقت . فاذا استطالت هذه الفترة فانه يبدأ يشعر بأنه مهمل وان لا أحد يهتم به او يعنى بأمره . وقد لا يكون هذا صحيحا دائما ، ولكن هذا شعوره على أى حال . وهو شعور يبعث فى نفسه الانزعاج والقلق ، لأن طمأنينته فى هذه الفترة المبكرة من الحياة تتوقف الى حد كبير على شعوره بانه موضع القبول والاهتمام والحب ، وهذه حاجة اساسية لا يستطيع الطفل الاستغناء عنها ولابد أن تلقى الاشباع والا أحس بالضياع .

اسباب القلق النفسي :

بمضى الوقت تدخل فى حياة الطفل أمور كثيرة تثير فى نفسه القلق . وتستطيع الأم الفطنة أن تلمح تعبير القلق على وجه طفلها فتحاول أن تعرف السبب فيه فتتجنبه أو تعالجه وفيما يلى أكثر الأسباب شيوعا لقلق الطفل :

١ — التهديد المستمر للطفل : وذلك عن طريق سماعه

التهديد الذى يوجه اليه باسراف كلما اتى امرا لا يرضى عنه الوالدان . ولا شك أن الهدف الرئيسى من عملية التنشئة للصغار هو أن يشبوا وقد تشبعوا بالقيم والمعايير التى يبيحها المجتمع الذى يعيشون فيه ، ولا شك أن تشبعهم هذا لا يتم بسرعة ، ولكنه عملية طويلة تستغرق السنوات الطوال وتتم على مراحل تكمل كل منها الأخرى . كما أنها عملية تقتضى من الوالدين الصبر الطويل والفهم العميق . ولكن من الملاحظ أن الكثيرين من الوالدين ، مع الأسف يظنون انهم يختصرون الطريق فى تنشئة أطفالهم ، بالتهديد عن طريق ترديدهم العبارات التى تحمل معنى التهديد والتى يرجو الكبار أن تؤدى الى النتيجة المرجوة منها ، عن طريق ما تثيره فى نفس الطفل من خوف . مثال ذلك : « اذا فعلت كذا فلن أحبك » أو « فسأرميك فى الشارع » أو « أسلمك للشرطة » . وما الى ذلك من العبارات .

وبديهى أن الكبار لا يقصدون فى واقع الأمر شيئا من هذا الذى يرددونه على مسامع الطفل ولكن الطفل لايعرف انهم لا يقصدون ما يقولون ، انه يعتقد أنهم صادقون ، وأنهم يعنون كل كلمة يقولونها ، ومن ثم يستجيب لها على هذا الأساس ، فتكن النتيجة أن تمتلىء نفس الطفل بالخوف والانزعاج والقلق .

٢ ــ تكرار تعرض الطفل لمواقف الخوف والخطر والقسوة والعنف فيصبح القلق والخوف من مكونات الشخصية ، ويحدث ذلك عندما يكون أحد الأبوين قاسيا أو كارها للطفل ، يعاقبه ويهدده كثيرا بدرجة تجعل الطفل فى خوف دائم .

٣ ــ اذا كان أحد الأبوين مصابا بالقلق ينتقل هذا

القلق الى الأطفال نتيجة لتصرفات الأم أو الأب المضطربة.

٤ ـ اذا تعرض الطفـــــل الى صعوبات متكررة فى الحياة أو فشل فشلا متكررا دون أن يجد من يساعده ويوجهه أو يشجعه ، كل هذا يؤدى الى الشعور بالقلق باستمرار حتى تزول الأسباب .

٥ ـ يحدث القلق فى مواقف الصراع ، ويكون الخوف فى هذه الحالة مصـــــدر دوافع نفسية غير مرغوب فيها .

مظاهر القلق النفسى للطفل :

ان الـكبار اذا اجتاحهم القلق والانزعاج استطاعوا أن يعبروا عنه فى كثير من الأحيان بطريق مباشر ، وان كان هذا الطريق المبـــــاشر يتعذر عليهم أحيانا. فيأخذ تعبيرهم عنه صورة غير مباشرة يفهم مدلولهـــا بعد الفحص المتأنى . اما الأطفـــال فان تعبيرهم عن القلق والانزعاج يكون دائما غير مباشر :

١ ـ من أكثر الوسائل شيوعا فى تعبير الطفــل عن القلق سهولة البكاء وكثرته ، فالطفل الهادىء الآمن ليس من السهل أن يبكى ولكن الطفل القلق يبكى لأقل شىء واذا بدأ البكاء فانه يستمر فيه فترة أطول مما ينتظر .

٢ ـ كثرة الحركة وعدم الاستقرار : ان الطفل القلق قلما يستقر فى مكان ، انه دائم الحركة دون أن يكون لهذه الحركة هدف واضح كما هو الحـال فى نشاط الطفولة عادة .

٣ ـ اضطراب النوم : الطفل القلق ينام نوعا عميقا كعادة الأطفال ولكنه كثير الحركة ،

في نفسه من أسباب الخوف التى تحاول أن تجد لهـا مخرجا حتى أثناء النوم .

٤ ـ تناول الطعام : تقل شهية الطفل للطعام ، فلا يقبل على طعامه بانشراح ، كما يضطرب هضمه ونظامه في عملية التفريغ فيصاب بالامساك أو الاسهال ، وان كان الامساك هو الحالة الغالبة ، وقد يصاب أيضا بقيء لا يرجع الى سبب عضوى ويكون سببه حالة الطفل النفسية التى يغلب عليها القلق .

٥ ـ سلوك الطفل : يدفع القلق الطفل الى هدوء غير طبيعى ، فينصرف عن اللعب ويميل الى الانزواء ويبدو وكأنه مهموم وغير مستمتع بالحياة . أو قد يدفعه القلق بأن يكون كثير الحركة ، غير مستقر ، كثير الأخطاء فى تصرفاته مما يعرضه للعقاب فيزداد قلقه وتزداد حالته غير المستقرة بالتالى .

وكذلك يظهر القلق النفسى فى الأيدى المرتعشة الباردة المبتلة بالعرق وفى استمرار عادة مص الأصابع وقرض الأظافر أو يهز جسمه أو ظهور حركات عصبية لا ارادية بالوجه .

العـلاج

أيما كانت الصورة التى يبدو فيها الطفل فانهـا تعبير عن حاجته الى الحب والحنان ، وأية محاولة لعـلاج الصورة الظاهرية للقلق بعيدا عن مدلولهـا الحقيقى فان مآلها الى الفشل . والعلاج المجدى الوحيد هو اعطاء الطفل الحب بأمانة وسخاء واشعاره بأنه موضع التقدير والقبول واتاحة الفرصة له لـكى يكون آمنا سعيدا .

الكذب عند الأطفال

الكذب هو أن يقول الطفل كلاما غير صحيح ، مع معرفته التامة بذلك ، بغرض المنفعة الخاصة أو تجنب العقاب . والطفل قبل الرابعة قد يقول كلاما غير صحيح ولكنه لا يعتبر كذبا وذلك للأسباب الآتية :

١ ــ عجز اللغة وعدم القدرة على التعبير : فقد يعبر الطفل عن أى رجل يراه بكلمة بابا ، فحين يعبر انه رأى والده ، فهذا ليس كذبا ولكنه عجز عن التعبير وعدم فهم من الكبار لما يقصده الطفل .

٢ ــ عدم القدرة على التمييز بين الخيال والواقع : ويحدث ذلك أثناء اللعب الايهامى اذ يتخيل الطفل اشياء كثيرة ثم يقولها كأنها حقيقة أو واقع فيقول أنه رأى فيلا ولكن عند سؤاله بهدوء وبدون قلق يمكننا أن نجعله يفرق بين الفيل الحقيقى والفيل الخيالى .

٣ ــ التفسير الخاطىء للأمور : وذلك عندما يرى الطفل شيئا أو حادثا ويفسره بشكل خاطىء كأن يرى مناقشة بين شخصين فيقول انهما يتشاجران ، وهذه ليست اكاذيب لأنه لا يعلم انه يكذب كما انه لا يقصد من وراء كذبه منفعة .

اسباب الكذب عند الأطفال :

١ ـ البيئة : يتعلم الطفل قول الصدق من البيئة اذا كان الـكبار المحيطون به يراعون الصدق فى أقوالهم وأعمالهم ووعودهم .. ولكن اذا نشأ الطفـــل فى بيئة تتصف بالخداع وعدم الصــــدق والتشكك فى صدق الآخرين ، فأغلب الظن أنه سيتعلم نفس الاتجـــاهات السلوكية والأساليب فى مواجهة مواقف الحياة وتحقيق اهدافه .

٢ ـ الاستعداد للكذب : هنـــاك استعدادان يهيئان الطفل للكذب : أولهما قدرة اللسان ولباقته ، وثانيهما خصوبة الخيال ونشاطه . هذان الاستعدادان ينشطان اذا نشأ الطفل فى وسط لا يساعد على تكوين اتجـــاه الصـــدق ، فمع تقليـده لمن حوله ممن لا يقـولون الصدق ويلجأون الى الطرق الملتوية وانتحال المعـاذير الواهية والكذب ، مما يدربه منذ طفولته على الكذب .

٣ ـ سوء سلوك الوالدين : يلجأ بعض الآباء الى الزج بأبنائهم فى مواقف يضطرون فيها الى الكذب ، وهذا أمر لا يتفق مع أصول التربية السليمة .. كأن يطلب من الابن أن يرد كذبا على السائل عن أبيه تليفونيا بأنه غير موجود . ان الطفل فى هذا الموقف يشعر بأنه أرغم فعلا على الكذب ، وأن الكذب مقبول والا لما لجأ اليه مثله الأعلى : الوالد أو الوالدة ، كما أنه يشعر بالظلم عند عقابه عندما يكذب هو فى أمر من أموره ، كمـــا يشعر بقسوة الكبار الذين يستحلون لأنفسهم سلوكا لا يسمحون له به .

٤ ـ المبالغة فى تنشئة الطفل : يلجأ بعض الآباء الى التضييق على الطفل فى كل صغيرة وكبيرة وفى كل عبارة

يقولها ويصرون على ان تكون صادقة ، وفقا لما ينشدون فيه من صدق . هذا الأسلوب الصارم لا يغرس فى الطفل صفة الصدق بل بالعكس قد يدفع الطفل الى الكذب كمحاولة للمظهر الذى يطلبه الوالدان ، كما أنه لا يجدى كوسيلة لاقلاع الطفل عن الكذب .

مما سبق نرى ان الكذب صفة أو سلوك مكتسب ، نتعلمه كما نتعلم الصدق وليس صفة نظرية أو سلوكا موروثا . والكذب عادة عرض ظاهرى له دوافع وقوى نفسية تجيش فى نفس الفرد سواء أكان طفلا أم بالغا . وقد يظهر الكذب بجانب الأعراض الأخرى كالسرقة أو شدة الحساسية أو الخوف ، الى غير ذلك من الأعراض .

أنواع الكذب عند الاطفال :

١ ـ الكذب الخيالى : كل الأطفال يمرون بفترة فى صغرهم لا يفرقون فيها بين الحقيقة والخيال .. وهو أقرب ما يكون الى اللعب . كما أنه أحيانا يكون تعبيرا عن أحلام الطفل .. أحلام اليقظة التى تظهر فيها آمال ورغبات الطفل ، تلك الآمال والرغبات التى لا يمكنه أن يفصح عنها بأسلوب واقعى .. وواجب الآباء تهيئة الفرصة للأطفال ليعبروا عن انفسهم فى هذا الأسلوب الخيالى ، وفى نفس الوقت يجب عليهم أن يبصروهم ويساعدوهم على التفرقة بين الواقع والخيال .

٢ ـ الكذب الادعائى : يلجأ بعض الأطفال الذين يعانون من الشعور بالنقص الى تغطية هذا الشعور بالمبالغة فيما يملكون أو فى صفاتهم أو صفات ذويهم بهدف الشعور بالمركز فى وسط أقرانهم وبهدف النزوع

للسيطرة عليهم ومن أمثلة ذلك الادعاء أن والده يشغل مركزا مرموقا أو أنه يعمل فى مهنة بعيدة كل البعد عن حقيقة مهنته وذلك لمجرد التظاهر وتعظيم الذات .. أو أن يخترع مغامرات تبدو فيها شجاعته ، ليشعر بأهميته عند أصدقائه ، ويحدث هذا النوع من الكذب لجذب الانتباه وخصوصا اذا فقد الطفل الاعجاب والاهتمام الكافى .

ويلجأ الأطفال للكذب لاستدرار العطف .. عن طريق تمارض الطفل وادعائه كذبا بأنه مريض .. أو بمحاولة ايهام الغير بأنه مغمى عليه .. ويحدث ذلك للأطفال الذين لم ينالوا درجة معقولة من العطف من الوالدين فى طفولتهم .. وأيضا للمدللين فى الصغر ممن تغيرت معاملة الوالدين لهم على أساس أنهم لم يعودوا بعد اطفالا صغارا .. بل جاوزوا سن الخامسة مثلا .

كما يلجأ الأطفال الى الكذب الادعائى .. فيتهمون الغير بتعذيبهم أو ضربهم أو اضطهادهم .. كأن يدعى تلميذ أن المدرس أو المدرسة دائمة الاضطهاد له .. وهو بذلك يحاول أن يستدر عطف الوالدين .. ويجد لنفسه سببا ليبرر عدم نجاحه فى دروسه .

هذا النوع من الكذب يجب الاسراع فى علاجه بتفهم الحاجات النفسية التى يخدمها الكذب ومحاولة اشباعها بالطرق الواقعية المعقولة ، والا نشأ الطفل على المبالغة فى كل شىء واختلاق الأقاويل مما يؤثر على مكانته الاجتماعية فى الكبر .

٣ ـ الكذب الفرضى : قد يكذب الطفل بفرض تحقيق غرض شخصى ، ومن الأمثلة الشائعة لهذا النوع أن يطلب الطفل من أبيه بعض النقود مدعيا أن والديه

أرسلته لاحضارها منه لقضـــاء بعض حوائج المنزل ، والواقع أن الطفل يريدها لنفسه لشراء بعض الحلوى .

٤ ـ الكذب الاستحواذى : فى هذا النوع نجد الطفل يستحوذ على الأشـياء .. كالنقود .. أو الحلوى أو اللعب .. فاذا ما سألته : هل معه نقود ؟ أجاب : لا ، فى حين أن معه ما يكفيه ويزيد .. أو قد يدعى ضياع لعبة ليشترى له والده غيرها .. بهدف الاستحواذ على أكبر قدر ممكن من اللعب .

ان الطفل الذى يعامل بقسوة من والديه ومن يفقد الثقة فيهم ، أو الذى يتصف والداه بالمبالغة فى رقابته دائما فى سبيل تحقيق رغباته يشعر بالحاجة الى امتلاك أكبر قدر ممكن من الأشياء وهو يكذب فى سبيل تحقيق ذلك .

٥ ـ الكذب الانتقامى : يكذب الطفل لاسقاط اللوم على شخص ما يكرهه أو يغار منه ، ويحدث ذلك عادة بسبب التفرقة فى المعاملة بين الاخوة ، فالطفل الذى يشعر بأن له أخا منفصلا عنه ، يلجأ الى الكذب فيتهمه باتهامات يترتب عليها عقابه أو سوء سمعته .

ويحدث الكذب الانتقامى بشكل واضح فى مجتمعنا بين الفتيات ، فتكذب احداهن متهمة أختا لها تغار منها ، بأنها على علاقة بفتى الجيران . أو قد تلجأ فتاة الى اتهام فتى بمحاولة التقرب منها ، وذلك لما فى التقاليد الشرقية من حساسية نحو علاقة الفتى بالفتاة ، وقد يكون السبب الدافع للانتقام هو العكس تماما . اى لعدم قيام الفتى بالاهتمام بها واظهار اعجابه بها أو لانه يظهر اعجابه بزميلة تغار هى منها .

لذلك فانه يجب على الآباء ورجال التربية أن يقابلوا مثل هذه الاتهامات بالحذر الشديد ، لأن أغلبها له دوافع نفسية انتقامية .

٦ ـ الكذب الدفاعي : هو أكثر أنواع الكذب شيوعا ويلجأ اليه الأطفال جميعا خوفا مما قد يقع عليهم من عقوبة .. ويزداد الكذب كلما كانت معاملة الطفل على أخطائه معاملة قاسية .. لذلك فان الآباء الذين يلجأون الى ضرب أطفالهم وعقابهم بهدف أن يقولوا الصدق ، انما يدفعون أبناءهم الى الكذب ، كما يلجأ الطفل الى الكذب اذا شعر بأن قول الصدق سيكون سببا فى ضياع شيء أو ميزة منه .

٧ ـ الكذب الوقائى : ويطلق عليه أيضا كذب الاخلاص ، وفي هذه الحالة يكذب الطفل عادة على اصحاب السلطة عليه كالآباء والمدرسين ، ليحمى أخاه او زميله من عقوبة قد توقع عليه ، ويلاحظ هذا فى مدارس البنين أكثر منه فى مدارس البنات ، وفى المدارس الثانوية أكثر منه فى المدارس الابتدائية . وذلك لأن الكذب الوقائى مظهر من مظاهر الولاء للجماعة ، والولاء للجماعة يقوى فى دور المراهقة ويكون عادة فى البنين أكثر تبكيرا منه عند البنات .

٨ ـ كذب التقليد : وكثيرا ما يكذب الطفل تقليدا لوالديه ، ولمن حوله ، اذ يلاحظ فى حالات كثيرة أن الوالدين نفسيهما يكذب الواحد منهما على الآخر ، فتتكون فى الأولاد طبيعة الكذب .

٩ ـ الكذب العنادى : وفيه يكذب الطفل لمجرد السرور الناشيء من تحدى السلطة ، خصوصا اذا كانت شديدة الرقابة والضغط ، قليلة الحنان .

١٠ ـ الكذب المزمن أو المرضى : هو حالة مرضية قد يجد الطفل نفسه مدفوعا حيالها الكذب لا شعوريا .. فيكذب فى أغلب المواقف ويعرف عنه أنه كاذب دائما .. ويكون الطفل عادة غير ناجح فى حياته المدرسية ، ويعانى شعورا شديدا بالنقص .. ومن شدة الشعور بالنقص مع العجز فى النجاح يلجأ الى الكذب ليحقق رغبته الشديدة فى النجاح أو فى تحقيق أهدافه كطفل .

علاج الكذب عند الاطفال

١ ـ يجب أن ندرك ان الكذب عرض قد يكون مصحوبا بأمراض أخرى كالسرقة أو شدة الحساسية أو العصبية الزائدة ونوبات الغضب ، لذلك فان علاج هذه الحالة يجب أن يبحث عن الدوافع والحاجات النفسية التى تسببت فى ظهور هذا العرض أو هذه الأعراض .

٢ ـ يجب ان نتبين هل الكذب عارض أم انه متكرر مزمن ؟ وما الدافع فى كل ما سبق أن أسلفنا ؟ .

٣ ـ ينبغى الاقلاع نهائيا عن علاج الكذب بالعقاب والتهديد والتشهير والسخرية . ان العقاب والتهديد لن يردعا الطفل عن الكذب بل سيتسببان فى أعراض أخرى ، كما ان التشهير والسخرية لهما أثر ضار للغاية على شخصية الطفل .

٤ ـ ان العلاج يجب أن يبدأ بالبيئة التى يعيش فيها الطفل ، من حيث أسلوب المعاملة والحياة الاجتماعية للطفل . يجب أن تساعد الطفل على الحصول على استجابات طيبة مع الأصدقاء والراشدين .. وبمعنى آخر

يجب ان نشبع فى الطفل الحاجات النفسية الضرورية وهى الشعور بأنه محبوب والشعور بالثقة فى النفس .

٥ ـ يجب ان نتيح للطفل فرصا للمغـــامرة المعقولة والاستمتاع بحياة مشوقة .

٦ ـ يجب أن يدرك كل من فى البيئة، لا سيما الوالدان، ان الطفل يتقمص سلوك من حوله ، ومن ثم يجب أن نكون قدوة للأطفال .

٧ ـ يجب أن يشعر الطفل بأنه يعيش فى بيئة مرنة متسامحة .

واخيرا ، ينبغى اشباع حاجات الطفــل النفسية وأن ندرك متى يمكنه ان يفرق بين الواقع والخيال ، فنبصره بأهمية الأمانة والصدق فيما يقوله ويفعله ونشجعه على ذلك ، مع عدم المبالغة والقلق على تنشئة الطفـــل على الصدق ، فان الطفل اذا نشأ فى بيئة شعارها الصدق قولا وفعلا فانه ينشأ صادقا وأمينا ، ولا يعانى الشعور بالنقص ، ومن ثم لا يلجأ الى التعــويض أو المراوغة أو الانتقام أو العناد عن طريق الكذب .

السرقة عند الأطفال

الطفل يشعر بالحاجة الى الملكية شعورا تلقائيا فى سن مبكرة جدا ، وقد يظهر هـــذا الشعور فى الفترة الأخيرة من السنة الأولى . ان تشجيع الآباء لشعور الطفل بالملكية من غير مبالغة يســاعد على غرس الاتجاهات الايجابية نحو احترام ملكية الغير ، وينمى فى نفوسهم قيما واتجاهات سلوكية نحو الأمانة ذلك أن الطفل الذى لم يدرب منذ طفولته فى محيط الأسرة ليفرق بين حاجياته وحاجيات غيره ، قد يصعب عليه فى الكبر خصوصا فى سن الطفولة المتقدمة أو المراهقة ، أن يميز بين ما يحق له وما لا يحق له بل يصبح أكثر ميلا الى الاعتداء على حقوق وملكية غيره من أقرانه فيسرق ممتلكات غيره .

أنواع السرقة

١ - سرقة ذكية أو غبية :

السرقة الذكية تكون بأن يستولى الشخص على ما يريده بطريقة يصعب اكتشافها .

السرقة الغبية ليس فيها الحـــرص الكافى ويكتشف السارق بسهولة .

٢ ـ سرقة عارضة أو سرقة معتادة :

السرقة العارضة : فيهـــــا يخضع الشخص للاغراء او التحريض مرة أو مرات قليلة ثم يرجع عنها .

السرقة المعتادة : تكون عادة مدبرة ومتكررة ولا يمكن الشخص الرجوع عنها .

٣ ـ السرقة للحاجة والسرقة للمباهاة :

السرقة للحاجة : وهى لأشياء يحتاجها الطفل ومحروم منها .

السرقة للمباهاة : يسرق الطفل لمجرد المباهاة والتفاخر أمام أصدقائه .

٤ ـ سرقة فردية وسرقة جماعية :

السرقة الفردية : أن يقوم الطفل بمفرده بالسرقة دون شريك معه .

السرقة الجماعية : يحدد فيها دور الطفـــل فى هذه العملية ، هل هو واضع الخطة أو زعيم عصابة أو هو أحد التـــابعين أو أن دوره الحـــراسة فقط لملاحظـــة رجال الشرطة .

دوافع السرقة عند الأطفال

(١) حب التملك مع عدم القـــدرة على ضبط النفس ويظهر ذلك فى حالتين :

أ ـ حالة الحماية الزائدة واللين الزائد :

اذ أن الطفل فى هذه الحالة لم تتح له الفرصة لتعلم الأصول للتحكم فى رغباته ، فهو لا يعرف ما يجب اخذه

وما لا يجب اخذه فالام التى تحب طفلها اكثر من اللازم لا تظهر أى استياء أو ضيق اذا استولى طفلها على شيء لا يخصه : فيكبر الطفل وليس لديه التمييز الكافى ، وما دام يمكنه الحصول على كل شيء يريده فى محيط الأسرة فانه يستغل ذلك فى المدرسة أيضا أو أى مكان آخر .

ب ـ فى حالة الحرمان الزائد :

وخاصة فى البيئات الفقيرة حيث يحرم الأطفال من الألعاب والأدوات اللازمة ويصبح من الصعب على الطفل أن يقاوم الاغراء لاشباع رغبته فى الحصول على هذه الأشياء ، كما ان الطفل الجائع لا يستطيع مقاومة الاغراء للطعام .

(٢) البيئة المنزلية السيئة :

قد يكون الوالد منحرف السلوك أو مدمنا للخمر ، او محترفا فن السرقة وقد تشجع الأم طفلها على أخذ أشياء من الناس سواء بالتسول أو السرقة . أو قد يكون الوالدان أنفسهما فى حالة فقر شديد أو تأخر عقلى ولا يمكنهما توفير مطالب الطفل الأولية كالطعام ، وفى هذه الحالة يلجأ الطفل الى السرقة للحصول عليه .

(٣) الرغبة فى الظهور الاجتماعى :

أ ـ يريد الطفل أن يظهر فى المدرسة بمظهر مناسب لزملائه ولا يريد أن يقل عنهم ، ويريد أن يشترك فى الرحلات والمشروعات ، فاذا رفض الأبوان اعطاء الطفل المبالغ اللازمة ، فقد يلجأ الطفل الى الحصول عليها من الأبوين بطريق السرقة .

ب ـ الطفل الذى يشعر أنه غير محبوب فى المدرسة ، يلجأ الى السرقة لشراء الهـدايا والأشياء المختلفة لزملائه لعله يحصل على صداقتهم وحبهم ، وقد يستعين بالنقود لشراء أشياء يقدرها ويحبها أصدقاؤه وهو نفسه لا يحتاج اليها .

حـ ـ أو قد يريد الطفل أن يثبت لأصدقائه وزملائه بطولاته ومغامراته فى السرقة فيسرق مثلا ليؤكد ما قاله قبل ذلك لهم .

(٤) الانتقام من الوالدين وبديل الوالد :

كثير من حالات السرقة من الوالد أو المربى (مصدر السلطة أيا كان) ارتكبت عقب شعور الطفل بمرارة لعقابه الشديد على ذنب تافه ورغبة فى الانتقام من السلطة الظالمة فيسرق الطفل أشياء ويعلم أن الأب يقـدرها كثيرا ، وقد يتصرف فيها أو يتلفها بالرغم من أنهـا لا أهمية لها عند الطفل . وكذلك الغيرة والمرارة والرغبة فى الانتقام تدفعه الى السرقة من الأبوين والأخوة فهو يسرق ما يعتبره حقا له .

(٥) الشعور بالحرمان من الحب :

يخلق هذا الشعور رغبة قوية فى الحصول على الحب أو ما يرمز له ، فالطفل يربط فى ذهنه بين اعطاء الهدايا والطعام وبين اعطاء الحب ، فاذا حرم من الحب حاول أن يسرق الطعام او أشياء أخرى ، خصوصا من الشخص الذى يريد منه الحب بالذات ، كرمز يعبر به عن رغبته الداخلية ، وقد ينتقل ذلك الى سرقة الأشياء التى ترتبط فى ذهنه بمعنى الحب من أى شخص أو سرقة أى شىء من الأشخاص البديلين للأم والأب .

(٦) حب المخاطرة أو المغامرة :

قد يتأثر الأطفال تأثيرا كبيرا بقصص المغامرات وأفلام السينما عن العصابات والسرقات ، وتنشأ بينهم قيم تختلف عن قيم المجتمع فيعتبرون السارق شجاعا وعظيما ، كما يعتبرون الشخص الأمين جبانا أو خائفا فيتفنن هؤلاء الأشخاص فى تجنب القبض عليهم والهرب من العدالة ويجدون فى ذلك الاحساس بلذة الانتصار .

٧ - بعض الأعراض النفسية : يصاحبها ، كعرض من أعراضها ، السرقة ، وذلك مثل ما يحدث فى :

أ - مرض الهستريا : حيث يصاب الشخص الهستيرى بنوبات خارجة عن ارادته فيقوم بسرقة أشياء؛ وقد لا يتذكر الشخص كيف تمت هذه السرقة وقد يندم عليها . وقد لوحظ ان مثل هذه الحالات تزيد فى حالة الفتيات المراهقات : فيصبن بنوبات تجوال فى المحلات وأخذ بضائع نسائية فى غفلة من أصحابها . ويمكن علاج هذه الحالات نفسيا ولا تعود الحالة لهذا العمل فى أغلب الأحيان ، وقد لوحظ أيضا أن هذه النوبات تكون عادة فى فترة العادة الشهرية أو قبلها بقليل .

ب - الصرع : الشخص الصرعى يكون عادة مندفعا وقدرته على ضبط النفس محدودة فقد يسرق فى نوبة من نوبات الاندفاع أو فى نوبة نفسية حركية كجزء من الحركات الأتوماتيكية ، وكذلك فى الحالات التى يتجول الأطفال بلا هدف لمدة أيام طويلة . وقد يدفعه الجوع الى سرقة الطعام ، وقد يدفعه البرد فيسرق الملابس وتكون السرقة فى هذه الحالات سهلة الاكتشاف كما يظهر على الطفل علامات غيبوبة ونسيان . وقد تحدث أيضا كجزء من العمليات اللاشعورية التى تحدث بعد نوبة الصرع الكبرى .

حـ ـ الضعف العقلى : وخصوصا الناتج عن الحمى المخية الشوكية وقد يسرق الطفل بتحريض من الكبار المجرمين ويمنعه التمييز بين الخطأ والصواب عن معارضة هؤلاء المجرمين ، وقد يؤدى الانحراف السلوكى الناتج عن الحمى الشوكية الى السرقة .

دراسة حالات السرقة :

عند دراسة حالة من حالات السرقة يجب :

١ ـ التأكد من سبب السرقة ، هل هى عارضة أم متكررة ؟ .

٢ ـ التأكد من درجة ذكاء الطفل وهل هو ضعيف العقل وواقع تحت تأثير وتوجيه ولد آخر .. أم انه ذكى ويسرق تلقائيا أو تحت تأثير زعيم له فى هذا المجال ؟.

٣ ـ هل الطفل يقلد آخرين فى هذا السلوك ؟ .

٤ ـ هل السرقة تؤدى وظيفة نفسية فى حياة الطفل وتسد بعض الحاجات البيولوجية أو النفسية كاثبات الذات أو الشعور بالتقدير ، أم للانتقام من الغير ، أو بسبب الغيرة أو غير ذلك من الدوافع النفسية . وبمعنى آخر يجب أن نصل الى معرفة الوظيفة التى تؤديها السرقة .

واجب الآباء لمنع السرقة

١ ـ يجب أن يعيش الأبناء فى وسط عائلى يتمتع بالدفء العاطفى المتبادل بين الأباء والأبناء .

٢ ـ توفير الضروريات اللازمة للطفل من مأكل وملبس وخلافه .

٣ ـ مساعدة الطفل على الشعور بالانتماء والاندماج في جماعات سوية فى المدرسة والنادى والمنزل .

٤ ــ مساعدة الأطفال على التخلص من الطاقة الزائدة والانفعال عن طريق المشاركة فى أنشطة جماعية واللعب والهوايات كالموسيقى والأشغال الفنية .

٥ ــ ينبغى تنمية سلوك الأمانة بالطرق الآتية :

١ ــ خلق الشعور بالملكية عند الطفل منذ سنيه الأولى بأن يخصص للطفل دولاب خاص أو مكان خاص .. وأشياء يمتلكها .

٢ ــ اعطاء الطفل مصروف منظم يتناسب مع سنه ووسطه الاجتماعى .

٣ ــ المرونة والتسامح فى حالات السرقة الفردية العابرة التى تحدث فى حالات الصغار .

٤ ــ عدم الالحاح على الطفل بالاعتراف ، لأن ذلك يدفعه الى الكذب وقد يجد أنه نجح فى الكذب .. فيتمادى فى سلوك السرقة .

٦ ــ يجب ان نشبع الأطفال بالحب والصداقة مع الحزم والمعاملة والقدوة الحسنة ، لأن الطفل لا يسرق من يحبهم أو يشعر بصداقتهم .

وأخيرا اذا شئنا ان ينشأ أبناؤنا على الثقة والاطمئنان ، وأن يتجهوا الى العمل البناء فى تعاون وايثار ، وأن يجدوا السعادة فى البذل والعطاء فلنعلمهم الحب أولا : الحب الواعى المستنير ، الضوء الذى يهدى ، لا النار التى تحرق ، حب الايثار لا الاثرة ، حب العطاء لا الأخذ ، حب التضحية والبذل ، حتى نمهد لهم السبل ليكونوا الأطفال الذين نسعد بهم ويفخر الوطن بأعمالهم ، وبذلك نبعدهم عن طريق الانحراف ، لاحساسهم بالاطمئنان والسعادة وعدم الحرمان .

الغيرة عند الأطفال

الغيرة احدى المشاعر الطبيعية الموجودة عند الانسان كالحب والألم ، ويجب أن تقبلها الأسرة كحقيقة واقعة ولا تسمح فى نفس الوقت بنموها ، فالقليل من الغيرة يفيد الطفل ، فهى حافز يحثه على التفوق ، ولكن الكثير منها يفسد الحياة ويصيب الشخصية بضرر بالغ . وما السلوك العدوانى والأنانية ، والارتباك والانزواء الا آثار الغيرة على سلوك بعض الأطفال . ولا يخلو طفل من اظهار الغيرة بين الحين والحين ، وهذا لا يسبب اشكالا اذا فهمنا الموقف وعالجناه علاجا حكيما ، غير أن الغيرة قد تصبح عادة من عادات السلوك تظهر عند أول مثير ، وهنا تصبح مشكلة .

أسباب الغيرة غير الطبيعية :

لتلك الغيرة أسباب متعددة أهمها :

ا ــ ضعف الثقة بالنفس : ترجع الغيرة فى معظم الأحوال الى ضعف الثقة بين الطفل وبين من حوله فتكون عاملا مساعدا على ظهور الغيرة فى الوقت المناسب .

وأقسى أنواع الغيرة كذلك هو ما ينشأ عن شعور بالنقص مصحوب بشعور عدم امكان التغلب عليه ، كنقص

فى الجمال ، أو نقص فى القدرة الجسمية أو الحسية أو العقلية ، لهذا نجد أن المعرضين للغيرة معرضون للشعور بالنقص ، كما ان المعرضين للشعور بالنقص معرضون أيضا للشعور الشديد بالغيرة ، وتكون كل من الغيرة والشعور بالنقص ، حلقة متصلة الأجزاء يؤثر كل جزء منها فى الآخر .

٢ — ولادة طفل جديد : يلاحظ أن الطفل فى أول حياته تجاب له عادة كل طلباته ويسترعى فى العادة انتباه الجميع ، ويشعر بأن كل شىء له وكل مهم له وكل امتياز له . ولكن الذى يحدث هو أن العناية التى كانت تغدق عليه من الكبار قد تتوقف عنه فجأة أو بالتدريج كلما نما . وقد تتجه الى المولود الجديد أو الى اى شخص آخر فى الأسرة . هذا التغيير قد يترتب عليه فقد الطفل ثقته ببيئته ولا سيما أمه . وفقد الثقة فى نفسه تبعا لذلك . اذ يشعر بأنه غير مرغوب فيه وبذلك يبدأ شعوره بالقلق وشعوره بالكراهية لبيئته والميل الى الانتقام منها أو الابتعاد عنها أو شعوره بالنزوع الى سلوك يترتب عليه جلب العناية اليه مرة أخرى كالبكاء أو التبول اللاارادى أو المرض ، وكلما كثرت الامتيازات التى تعطى للطفل ، زادت الغيرة عند انقاصها منه باعطائها لطفل آخر . ولذلك كان الطفل الذى يتمتع بامتياز معين هو أكثر الناس استعدادا للغيرة . وذلك كالطفل الأول أو الأخير او الوحيد او الذكر الأول أو من يشبه ذلك من الأطفال الذين يمثلون مركزا يعطيهم فرص التمتع بامتياز واضح .

٣ — توجيه العناية الفائقة الى والد الطفل : يؤدى ذلك أحيانا الى شعور الطفل بالغيرة ، وذلك لأن الطفل

في سنواته الأولى كان يتمتع كما يبدو له بعنـــاية أمه كلها ، ثم يلحظ أن الوالد يأخذ كثيرا من هذه العناية ، فتبدو عليه علامات الغيرة واضحة أو غير واضـحة ـ ويحدث أحيانا أن يتغيب الوالد عن المنزل مدة طويلة وبمجرد عودته تنصرف الأم انصرافا كليا فيغار الطفل ـ والغيرة من الأب سببها أن الطفـــل ينازع والده المركز الذى يرغب فيه لنفسه عند الأم .

٤ ـ الموازنة الصريحة بين الأطفال وبعضهم سواء فى المنزل أو فى المدرسة وتفضيل واحد عن الآخر ، يؤدى الى شعور الطفل بالنقص واضعاف الثقة بالنفس لدرجة تجعله عرضة لهذا الشعور . وتقوم الموازنات عادة حول جمال الخلقة أو القدرة العقلية أو القدرة الاجتماعية ، أو ما الى ذلك مما قد لا يجد الطفل لنفسه حيلة فى التغلب عليها .

٥ ـ اختلاف معاملة بعض الأسر الابن اختلافا تاما عن معاملة البنت يخلق الغرور فى الأبناء ، ويثير حفيظة البنات ، وينمى عندهن غيرة تكبت وتظهر أعراضها فى صور أخرى فى مستقبل حياتهن ككراهية الرجال عامة وعدم الثقة بهم وغير ذلك من المظاهر .

٦ ـ اغداق امتيازات كثيرة على الطفل العليل : كامداده باللعب واعطائه النقود والشيكولاتة وغير ذلك مما لا علاقة له بعلاج المرض نفسه ، وهذا يثير الغـــيرة فى الاخوة الأصحاء ، وتبدو مظاهرها فى تمنى المرض ، وكراهية الطفل المريض ، الى غير ذلك من مظاهر الغيرة الظاهرة او المستترة .

ما هى مظاهر الغيرة غير الطبيعية ؟

١ ـ مظاهر انفعالية : ان الغيرة شعور مؤلم يجعل صاحبه قلقا ، نافما لا يستريح لنجاح غيره وتجده فوق ذلك قليل التعامل مع الناس ، لا يسهل انسجامه معهم ولا يميل الى التعاون أو الاخذ والعطاء ، أنانيا ، يهتم بحقوقه اكثر مما يلتفت لواجباته . يميل أحيانا الى الانزواء والى نوع من الهجوم والتشاجر ، أو الايقاع بغيره . ويشعر عادة فوق ذلك بأنه مظلوم سيء الحظ ، وان الناس يعملون عادة ضده ، مما يجعله قلقا ، مبالغا فى الحذر من الناس والبعد عنهم . ويلاحظ أن الأساس فى الغيرة فى أغلب الأحيان هو القلق والخوف ، وضعف الثقة بالنفس .

٢ ـ مظاهر سلوكية : تتفاوت من الضعف الواضح الى مظاهر مقنعة ، وقد تبدو هذه المظاهر من الطفل عندما يرى نفسه بعيدا عن والديه ، فيصب غضبه عليهما بشكل أو بآخر . وربما صب غضبه وغيرته أثناء لعبه مع عروسة يسميها باسم اخيه الأصغر الذى يثير غيرته . واذا لم يستطع الطفل التعبير عن نفسه بهذه الطريقة ربما اتجه الى الكذب أو الكلام بدون سبب أو تجاهل الآخرين وبخاصة الأفراد الذين يثيرون غيرته . وربما ظهرت الغيرة فى شكل اضطراب فى النوم أو اضطراب فى السلوك . وربما اخذ الطفل يتكلم بصوت عال ليجذب اهتمام الناس اليه ، ربما انطوى على نفسه يجتر آلام غيرته أو اتصف بالطاعة الشديدة فينافس الطفل الذى يغار منه فى هذا المجال ، فيتفوق عليه فى طاعة الوالدين فيحقق لنفسه شيئا يخفف من متاعبه .

علاج الغيرة عند الأطفال :

في أغلب الأحيان يكون علاج القلق والخوف وضعف الثقة بالنفس ، بالاتجاه دائما الى زيادة الثقــة بالنفس من مختلف النواحي زيادة تخفف من النقص وتقلل من صدمة الشعور بعدم الرضى ، وتزيد من الآخذ والعطاء ، وتزيد من القدرة على التعاون الاجتماعى ، واذا تم هذا تم كسر الحلقة المفرغة التى تربط بين الغيرة وضعف الثقة بالنفس .

واجب الآباء لمنع الغيرة :

١ ـ كى تمنع الغيرة الشديدة فى حالات ولادة طفل جديد ، يستحسن أن يمهد الوالدان لاستقبال المولود الجديد ، يجب عليهما أن يحببا المولود الجديد له بشتى الوسائل حتى اذا ما جاء المولود شعر أنه شيئ محببا الى نفسه ، لا دخيل يريد أن ينتزع حب والديه انتزاعا . كما يجب على الوالدين ان يقتصدوا فى اظهار محبتهما وعطفهما المبالغ على المولود الجديد ، فان ذلك مما يزكى نار الغيرة فى صدر أخيه أو أخته .

وينبغى عندما يولد الطفل عدم اهمال الكبير واعطــاء الصغير عناية أكثر مما يلزمه . فيجب الا يعطى المولود الا القدر الذى يحتاجه وهو لا يحتاج الى كثير . والذى يضير الطفل الكبير عادة كثرة حمل المولود وكثرةالالتصاق الجسمى الذى يضر المولود اكثر مما يفيده .

فواجبنا اذن تهيئة عقل الطفل الى حادث الولادة ، وكذلك يجب فطامه وجدانيا تدريجيا بقدر الامكان . فلا يحرم حرمانا فجائيا من الامتياز الذى سيغدق مثله على أخيه أو أخته .

٢ ـ يجب على الآباء أن يقلعوا عن الموازنات الصريحة وعن خلق الجو الذي يشعر بالموازنة ، ويجب اعتبار كل طفل شخصية مستقلة لها مزايا واستعداداتها الخاصة بها . فاذا نجح طفل فى عمل ما فيكفى أن يشجع عرضا دون موازنة بغيره . فكل طفل مهما خاب فان له ناحية طيبة يمكن كشفها وابرازها والاعتزاز بها ، وبذلك يمكن أن يزول الشعور بالخيبة المؤدى الى الشعور بالذلة والضعف .

وتبعا للموازنات بين الأخ واخيه أو التلميذ وزميله ، يمكن الموازنة بين الطفل ونفسه فى أوقات مختلفة ، فان تقدم فى وقت ما عما كان عليه فى وقت سابق ، فهذا كاف لتشجيعه ، واذا كانت المدرسة أو الأسرة تعنى بالهوايات فيحسن أن يكون لدى الأولاد هوايات مختلفة كالموسيقى والتصوير وجمع الطوابع .. الخ . وبذلك يتفوق كل فى ناحيته ويوازن نفسه بنفسه .

٣ ـ ينبغى المساواة فى المعاملة بين الابن والابنة لأن التفرقة تثير الغيرة ، وتؤدى الى الشعور بكراهية البنات للجنس الآخر فى المستقبل .

٤ ـ عدم اغداق امتيازات كثيرة على الطفل العليل : فان هذا يثير الغيرة فى الأخوة الأصحاء ، وتبدو مظاهرها فى تمنى المرض وكراهية الطفل المريض الى غير ذلك من مظاهر الغيرة الظاهرة والمستترة . ولذلك لا يجوز اعطاء الطفل أى امتياز أكثر من العناية التى يتطلبها المرض .

٥ ـ لا يجوز أن يبهر الوالدان بما يقوم به بعض الأطفال من المبالغة فى طاعتهم ومسايرة آرائهم والعمل على ارضائهم ، والاعجاب بهم والتظاهر بالحب لهم ، الى

غير ذلك . ولا يجوز لهم ان يزيدوا من تقدير هذا الفريق على حساب الفريق الآخر صاحب الرأى الجرىء الحر ..
هذا الموقف من الأبناء كثير الانتشار وهو من أسباب غرس بذور الغيرة والحقد بين الأخوة ، وتنشئة بعض الأولاد على النقمة على السلطة والمجتمع عن طريق التحول من النقمة على الوالدين وبعض أفراد الأسرة الى السلطة والمجتمع .

وأخيرا ، ينبغى مهما كانت الفروق العرضية الدائمة بين الأخوة أو الزملاء ، فلا يجـــوز استثارة الموازنات الفردية المؤدية الى الغيرة . وهذا لا يمنع بالطبع اجراء المباريات بين تلاميذ المدارس بين آن وآخر مما يحفزهم لبذل الجهد ، ويخلق الفرص أحيانا لتعويد التلاميذ تقبل الفشل المؤقت بصدر رحب .

الخوف عند الأطفال

الخوف الطبيعي والمرض :

الخوف حالة طبيعية انفعالية يشعر بهما الانسان فى بعض المواقف ويسلك فيها سلوكا يبعده عادة عن مصادر الضرر ، وهذا كله ينشأ عن استعداد فطرى اوجده الخالق فى الانسان والحيوان . فالخوف هو الذى يدفعنا لحماية أنفسنا والمحافظة عليها . فاذا كنا لا نخاف النار مثلا فقد تحرقنا ، واذا كنا لا نخاف الحشرات والحيوانات الضارية فقد تقتلنا .

وهناك أيضا الخوف من الغضب ، وخوف الانسان على سمعته ، وما الى ذلك ــ ومن الطبيعى أن تقترن الحالة الشعورية الانفعالية ــ وهى الخوف ــ بالسلوك الملائم وهو الخلاص من الخطر . فالخوف أمر طبيعى معقول ضرورى يؤدى الى حماية الفرد مما يجوز أن يسبب له ضررا ، وجميع الطرق الوقائية التى نتخذها لحماية أنفسنا من عوادى الطبيعة او المرض أو سخط المجتمع أو غير ذلك تدل على نوع من الخوف نسميه الحــذر او الحيطة ، ويصح أن نسميه الخوف الواقى ، ومما لا شك فيه انه فى درجاته المعتدلة صفة طيبة يجب الاتصاف بها .

أما الخوف الكثير المتكرر الوقوع لأى سبب فيكون

خوفا مرضيا ، ولذلك فان تضخم الخوف ، فى موقف ما زيادة عن النسبة المعتدلة التى يتطلبها هذا الموقف عادة ، يعد امرا غير طبيعى . فاذا وجدنا طفلا فى السابعة يخاف الصراصير أو القطط او يخاف الظلام فاننا نعد هذا أمرا غير عادى . واذا وجدنا طفلا فى الثالثة يخاف الظلام قليلا فاننا نعد هذا أمرا عاديا .

لذلك فان تضخم الخوف فى موقف ما تضخما خارجا من الحد المعقول ، وكذلك تكرر الخوف تكرارا خارجا عما هو مألوف يعد أمرا مرضيا يحتاج الى تأمل وفحص وعلاج .

نرى مما تقدم أن لدينا خوفا معتدلا من حيث درجته ومبلغ تكرره واكتمال حلقاته من انفعال وسلوك ، ولدينا خوف مرضى ، وهو ما يشذ عن هذه النواحى الثلاث . والخوف الطبيعى المعتدل مفيد لسلام الفرد . وأما ماعدا ذلك فهو ضار لشخصية الفرد وسلوكه ، ويكون من مظاهره الانطواء وعدم الجراة ، والتهتهة وغير ذلك من الخصال المعطلة للنمو .

مخاوف الأطفال ومصادر تكوينها :

تنقسم مخاوف الأطفال بحسب موضوعاتها الى : حسية وغير حسية .

فموضوعات الأولى : يمكن ادراكها بالحواس كالخوف من الشحاذ أو الشرطى مثلا أو بعض انواع الحيوان والحشرات كالحصان أو القرد أو الصرصار أو غير ذلك .

أما النوع الثانى : فهى المخاوف غير الحسية كالخوف من الموت ، والخوف من جهنم أو العفاريت أو الغيلان أو

غير ذلك ، وكذلك الخوف من الظلام في حالة الأطفال .

ويختلف ما يثير خوف الطفل باختلاف سنه ، فهو فى الشهور الأولى يفزع من أى توتر حاد كالضوء الشديد والصوت العالى ، ولكنه لا يميز الأشخاص جيدا . فهو لا يفزع لمقدم الطبيب ، ولكن قد يبكى اذا وضع الطبيب السماعة الباردة على صدره ، بينما ينعكس هذا تماما عند طفل أكبر منه فهو قد يتحمل برودة السماعة ولكنه يفزع لقدوم الطبيب — لا كطبيب طبعا — ولكن كشخص غريب عنه .

والطفل فى سن الثانية حتى الخامسة يبدأ فى الخوف من الحيوانات وخصوصا اذا صاحبتها تجربة مفزعة كعضة أو نباح عال مفاجىء ، وهو يفزع من الشخص الغريب عنه . وقد يرهبه الظلام فهو يعنى المجهول ، والطفل فى هذه السن يخشى مايجهله بالاضافة الى أن تركه فى الظلام يشعره بالوحدة ويبعده عمن يحبه ويألفه . وكلما كبر الطفل قلت مخاوفه وبدأ يدرك المعقول واللامعقول كسبب للخوف . فهو لا يخاف الظلام ما دام لم يضره ، وسوف يألف الشخص الغريب بسهولة اكثر . ولكن سوف تصاحب هذه السن مخاوف من نوع آخر ، وهى مخاوف حقيقية جدا مررنا بها جميعا . وهى الخوف من الرسوب فى المدرسة ، والخوف من تأنيب المدرس ومن فقدان ماء الوجه اذا تسلم شهادة مرصعة « بالكعك الأحمر ! » .

كل هذه المخاوف طبيعية جدا ولو تركت للزمن لتلاشت بقليل من حكمة الوالدين ، وينتج عن هذا طفل

سليم النفسية شجاع فى حدود المعقول ، وحذر أيضا فى حدود المعقول .

أبو رجل مسلوخة :

مما يقوى الخوف فى نفوس الأطفل « استثارته لحفظ النظام » أو دفعه لعمل معين أو منعه من القيام بلعب أو احداث ضوضاء أو غير ذلك . فكثيرا ما نخوف الطفل ليقلع عن اللعب والحـــركة ، ليهدأ المنزل حتى يتمكن الوالد مثلا من النوم أو من تركيز انتباهه فيما يشغله ، وفرق بين أن يقلع الطفل عن لعبته ونشاطه خوفا من العقاب ، وأن يفعل ذلك ليؤدى خدمة لوالده ، وما دام المقصود هو هدوء الجو فيمكن توجيه الطفل للعب فى مكان آخر أو لنوع من اللعب أكثر هدوءا أو غير ذلك .

وكثيرا ما يهدد الطفل الصـــــغير فى مثل الأحوال السابقة بأن يقال له : « اذا لم نكف عن عمل كذا سيأخذك العسكرى أو الشحاذ أو الزبال أو أبو رجل مسلوخة ! » أو التهديد بوضعه فى غرفة الفيران . وتكون النتيجة أحد أمرين : اما أن الطفل لا يقلع عما يفعل ، ولا تتوقع عليه العقوبة ، فيكتشف بذلك ضعف الوالدين وعدم تحقيقهم لوعيدهم ، ويدرك مبلغ قوته عليهم تبعا لذلك . واما أن يخضع للأمر ، ويهدأ ، ويشل نشاطه ، ويشب جبانا خضـــوعا لغير سبب معقول ، والنتيجة وبال فى الحالتين .

تخويف الأبناء للضحك والتسلية :

تخويف الأبناء للضحك والتسلية من جانب الكبار ، وهذا أمر متكرر الوقوع ، فخوف الطفل من القرد مثــلا قد يكون مثارا للضحك عند الكبار من أخوة وخدم ،

واحيانا من الآباء أنفسهم ، وما دام الأمر للضحك والتسلية فلا غرابة أن يندفع فيه بعض الكبار لسرورهم الخاص على حساب تألم الصغار وانزعاجهم . وليس هناك اقسى من أن يجلس الوالد أمام ابنه ويثير خوفه ، والولد يصرخ والوالد يضحك . من المحتمل جدا أن يكون لتكرار مثل هذه المواقف تأثيراته السيئة فى علاقة الطفل بوالده ، وفى شخصية الطفل وفى سلوكه بوجه عام .

خوف الآباء أنفسهم :

ولعل اشد مثيرات الخوف ذات الاثر الثابت هى خوف الآباء انفسهم ، فحالات الخوف كغيرها من الحالات الانفعالية تنتقل من فرد الى آخر بالتأثير مما يطلق عليه احيانا « عدوى الخوف » وفى هذا المقام يجب أن نذكر ان الوالدين فى كثير من الأحيان يعانون انفسهم من مخاوف لا يحبون مواجهتها أو الاعتراف بوجودها ، مثل الخوف من الظلام أو الخوف من الوحدة ، وقد ذكرت هذين النوعين من المخاوف بصفة خاصة لأنها أكثر أنواع المخاوف انتشارا بين الأطفال ، ولأننا اذا وجهنا السؤال للوالدين الذين يشكون من خوف صغارهم من الظلام أو من الوحدة ، لتبينا فى كثير من الأحيان أن الكبار أنفسهم يعانون من مثل هذه المخاوف ، وفى هذه الحالات ، كما فى كثير من الحالات التى تتشابه فيها مشكلات الصغار مع مشكلات موجودة لدى الكبار ، لا يجوز أن نسرع فنلقى اللوم على الوراثة :

أولا : ان هذه الصفات ليست من الصفات التى يمكن ان تنتقل بالوراثة .

ثانيا : لأن مرد السبب الى الوراثة يعنى ضمنا أن يقف

الآباء من المشكلة موقفا سلبيا ، اذ ما عسى أن يصنع المرء مع عيب وراثى .

خوف الآباء على الأبناء :

وكثيرا ما يحدث أن يبدى بعض الآباء والأمهات خوفا وقلقا على أبنائهم ، وتنتقل هذه الحالة عادة الى الأبناء فيصبحون قلقين على أنفسهم ، فاذا جرح الطفل جرحا صغيرا ، أو وقع على الأرض ، أو ارتفعت درجة حرارته نجد الأم فى حالة ذعر وتظهر — بتأثر شديد — كل علامات الخوف من جرى وارتباك واصفرار الوجه وغير ذلك . ينتج من هذا أن الطفل يصاب بذعر ، وبعد أن كان لا يشعر بأى ألم أو بألم قليل يمكنه تحمله ، يصير عادة غير قادر على تحمل الألم ، وفى العـــادة نجد أن الأسرة التى يقلق فيها الآباء على أبنائهم ينمو الطفل فيها وهو سريع التأثر شديد الحساسية لأقل الم ، شديد الاهتمام بنفسه ، فاذا أصابه جرح صغير تألم وبكى وبالغ فى الاهتمام به ، واذا أصابه صداع خفيف اعتكف .. الخ . وبهذه الطريقة يتضاعف مظهر المرض الخفيف الذى قد يكون لديه .

فلتكن اذن خطة الآباء والأمهات اذا أصاب أبناءهم شيء ما أن يكونوا عمليين فيلتزموا الهدوء ، ويضبطوا انفعالاتهم ويقللوا من جزعهم ويقوموا بعمل ايجابى هادىء لتخفيف الاصابة وعلاجها .

الخوف من الظلام :

وهنالك نوع من الخوف فى غاية الخطورة ، وهـــو الخوف من المسائل المجهـــولة غير الحقيقية ، أو التى

لا يمكن للطفل ادراكها حسيا ، كالقول : جهنم والموت . والخوف من مثل هذه الأمور يكون عادة أعمق اثرا فى حياة الطفل من الخوف من المحسوسات . والواجب هو عدم اثارتها اطلاقا واذا كانت موجودة فيجب البحث عن سبب تكوينها ، وازالتهـا من أساسها ، مع شرح حقيقتها ، بقدر الامكان ، بما يلائم عقل الطفـل ، أو السماح له على الأقل بالتحدث فيها وعدم كبتها باعطاء الموقف الصحيح ازاءها .

الخوف من الموت :

يصاب كثير من الأطفال بالخوف من الموت بدرجات مختلفة ويكون سببه احيانا : أن يعيش الطفل مع كبار يخاف احدهم من الموت بشكل بارز أو قد يكون سببه أن يموت للطفل قريب أو رفيق له به صلة شـديدة . والسبب الأصلى لهـذا ان موت القريب المهم يهز فى الطفل ثقته فى بيئته التى يحتمى بها وينتمى اليها هزا عنيفا ، فتصبح دنياه فى نظره خلوا من الأمن .

علاج الخوف عند الأطفال :

الخوف يفسد الحياة ويجعل منهـا عبئا يصعب احتماله ، والحياة يمكن أن تكون سارة وبهيجة ، ويمكن ان نستمد منها الكثير من ألوان المتعة لو خلت نفوسنا من معظم هذه المخاوف أو لو تحررنا منها .

فالطفل الذى يخاف لا يسهل عليه تكوين الأصدقاء ويفضل أن يبقى مع نفسه ، وليس من العسير علينا أن نتبين السبب فى ذلك ، فان العالم الخارجى للطفل الوجل ليس مصدر أمان وطمأنينة ، ولذلك فانه يتجنبه

لانه بذلك انما يقى نفسه الدخول فى مشــــاكل جديدة تجعله يشعر بالعبء والتعاسة .

واجب الآباء لمنع الخوف :

١ ـ يجب على الوالدين الامتناع عن استغلال شعور طفلهما بضعفه وقلة حيلته واستعداده الطبيعى للخيالات الواسعة ، وعليهما أن يبحثـــا عن طريق آخر لالزامه بطاعتهما ، وليكن هذا الطريق هو الحزم والحب .

٢ ـ الامتناع عن تهديد الطفل وتخويفه ثم شغله عن المخاوف باعطائه فرصا أكثر للخروج من المنزل للاختلاط مع الأطفال فى مثل سنه ، فكلمـــــا زاد انشغاله قل اهتمامه بالمخاوف والعفاريت .

٣ ـ اذا كان الطفل يخاف من الظلام فيمكن أن ينام الطفل فى غرفة بها ضوء ، ويقلل الضوء ليلة بعد أخرى، ولا مانع من أن يحتفظ بمصباح « سهارى » ولا مانع من « بطارية » يحتفظ بها الطفل تحت وسادته يضيئها اذا شعر بالحاجة الى ذلك. ثم يفهم الطفل بالدليل المحسوس وبالمناقشة ان الظلام لا يدعو لــكل هذا الخوف . ومن اهم العوامل التى تساعد على زوال الخوف من الظلام أن يكون الكبار أنفسهم ممن لا يخافون من الظـلام . ويجب أن يراعى لوقاية الطفل أو علاجه من الخوف من الظلام نوع القصص التى تحكى له قبل النوم مباشرة ، فيجب أن تخلو بقدر الامكان من عناصر الازعاج .

٤ ـ ينبغى على الآباء والأمهات الا يهددوا الطفل بالعفاريت أو برجال الشرطة او أبو رجل مسلوخة الخ . . مع تجنب الأفلام والقصص الخيالية العنيفة ، فالطفل

لديه ما يكتبه من تخيلاته الذهنية .

٥ ـ يجب على الوالدين ان يعملوا على أن تنتهى بسرعة اية معركة قد تنشب حول الطعام ، أو بسبب الابتلال ليلا ، مع تجنب اشعاره بالاجرام من أجل الأخطاء الصغيرة . فالتهديد بعدم الرضا عنه ، أو عدم حبه ، هو اصعب ما يستطيع أن يتحمله لأنه يزيد من احساسه بعدم الاطمئنان .

٦ ـ فى حالة الخوف من حيوان ما ، ويكثر ذلك عادة بين الأطفال حتى ولو لم يمر الطفل بأى تجربة قاسية . فاذا كان الطفل يخاف الكلاب مثلا ، فيستحسن أن نساعده على تربية كلب صغير فيطعمه ويتعهده ويحميه ويلاعبه ويلاحظ نموه يوما بعد يوم ، الى غير ذلك ، وتدريجيا يزول الخوف منه .

٧ ـ وفى حالة الخوف من الموت ، فللحصول على بعض الوقاية للأطفال من هذا النوع من الخوف ، يحسن أن يكون بالمنزل أو فى حجرة الطفل بعض الحيوانات ، ولابد أن يموت بعضها فيدرك الطفل الموت بذلك ، ادراكا طبيعيا هادئا خاليا مما يحيط بموت الانسان عادة من انفعالات ، وكذلك يجب ألا يحاط الموت ـ بقدر الامكان ـ بما يحاط به من تقاليد تثير فى الأطفال رعبا شديدا ، دون أن يدركوا ذلك غالبا . واذا لم يكن بد من متابعة هذه التقاليد ، فيحسن ابعاد الطفل عن جوها الى أن تنتهى . على انه من الخطأ الفاحش اذا مات للطفل قريب محاولة التمويه عليه وعدم ايقافه على الحقيقة بجو غير عادى يثير الشكوك والحيرة لدى الطفل وحيرته . والحيرة اشد أثرا على نفس الطفل من الصدمة الناشئة عن المواجهة المؤلمة للواقع .

٨ ــ وفى حالة الخوف من الدواء ، من اهم العوامل التى يجب تاكيدها أن الخوف ينتقل بالايحاء والمشاركة الوجدانيه ، ولنتذكر أن ايحاء السلوك أقوى من ايحاء الالفاظ . فاذا أردت لاطفالك الا يخافوا الدواء مثلا ، فلا معنى لأن تظهر علامات التألم وانت تأخذ الدواء ، فى الوقت الذى تعطى فيه الطفل دواء ثم تطلب التجلد ازاءه فعليك أنت أولا الا تخاف هذه الاشياء ، وأن كنت تخافها فلتروض نفسك علي تحملها ، واذا استحال عليك ذلك فاستر خوفك عن اطفالك .

واخيرا علي الآباء أن يتذكروا كذلك أن أغلب الأخطاء في تربية الطفل ، سببها أن المرء ينسى ما كان فيه فى عالم الطفولة بسرعة وسهولة . فعالم الأطفال عالم دقيق حساس سريع التأثر ، شديد الانفعال ، قليل الادراك والخبرة ، ضئيل الحيلة ، وهذه من أهم العوامل التى تسهل احتمال نمو الخوف بصورة غير سوية .

الميول العدوانية عند الأطفال

ان عالم الصغير يختلف أليوم عن عالمه بالأمس ، وهو فى ذلك انما يساير الزمن ، فنحن اليوم نواجه بمشكلات لم يكن لأجدادنا عهد بها من قبل ـ لذلك وجب ان تختلف نظرة آباء الأمس بصدد حقوق الطفولة ومشكلاتها ، فاذا ما أتى الطفل عملا أثار غضبهم ، والأطفال كثيرا ما يقومون فى اعمار مختلفة بأعمال تسبب على أقل تقدير مضايقة من حولهم من الكبار ، وينبغى أن ننتظر من الوالدين اليوم أن يهدفا الى التعمق وراء مظاهر السلوك لتلمس دوافعه ، حتى يتسنى لهما اختيار الأسلوب الذى يعالج المشكلة من الأساس .

فالغضب والعناد والميل الى التشـــــاجر وتحطيم الأشياء وتمزيقها والقسوة والميل الى اشعال النار عند الأطفال ، كلها تعتبر سلوكا عاديا ، ولكن عندما تلازم هذه الأعراض الطفل لسن متقدمة وبصورة عنيفة ، فانها تكون أعراضا لسوء تكيفه ، وقد تكون علامة خطيرة تنبىء بأعراض المرض النفسى فى الكبر .

فكلما كانت سن الطفل صغيرة من ٣ ـ ٥ سنوات اتجهت الأعراض الى الاختفاء بمرور الوقت أى كلما تقدم فى السن ، ولكن اذا كانت الأعراض لا تزال مستمرة

بعد سن الخامسة ، كلما اتجهت الى الثبات وأصبحت مشكلة سلوكية . ولذلك فانه يمكننا أن نغض النظر عن هذه الأعراض الانفعالية للصغار دون الخامسة ، ويجب أن نهتم بها بعد الخامسة وننظر لها على انها أعراض وعلامات لسوء التكيف الذى يتخذ صفة الاستمرار فى السلوك المنحرف . وفى نفس الوقت يجب أن نفرق بين سوء التكيف الذى يتخذ صـــــفة الاستمرار فى السلوك والانفعال المبالغ فيه ، وسوء التكيف أو الانفعال الذى يحدث عرضا كنتيجة لصدمة من الصـــدمات أو الظروف غير الملائمة فى البيت أو المدرسة .

١ ـ نوبات الغضب والعناد والميل الى التشاجر عند الأطفال :

يتطور انفعال الغضب عند الأطفال قبل سن الخامسة مع تطـــور نموهم .. ففى الفترة بين الشهر السادس والسنة الثالثة من حياة الطفل نجـــده يغضب ويثور اذا لم تحقق له رغباته خصوصا الفسيولوجية ، أو اذا ترك وحيدا فى الحجرة أو اذا فشل فى جذب انتباه من حوله ليلعبوا معه أو ينشغلوا به ـ كما أنه قد يثور أيضا عندما تغسل له وجهه ، أو أثنـــاء الاستحمام أو خلع ملابسه ، وتتفاوت مظاهر الغضب عند الأطفـــال دون الخامسة من ضرب الأرض بالقدمين والرفس والقفز والضرب والارتماء بالجسم على الأرض ، ويصاحب هذه الأعراض عادة البكاء والصراخ ، وقد يعانى بعض الأطفال من تصلب أعضاء الجسم والتوتر الشديد أثناء نوبات الغضب ، أو قد يلجأون الى العض على الانامل .

واغلب أسباب غضب الأطفـــال قبل سن الخامسة

ترجع الى علاقة الطفل بوالديه واخوته وتحكمهم في تصرفاته ، وفرضهم رغبات معينة عليه تتصل بذهابه الى الفراش أو تناول الطعام أو تنظيف أسنانه او باتباع عادات صحية تتصل بفسل يديه بعد التبول والتبرز ، وتمشيط الشعر أو تكليفه بقضـــــاء بعض الأمور فى المنزل .

مظاهر الغضب عند الأطفال فوق الخامسة :

لقد بينت احدى الدراسات العلمية أن مظاهر الغضب تختلف باختلاف سن الطفل . فالأطفال من سن ٣ ــ ٥ سنوات تعتريهم نوبات الغضب ويلجأون بذلك الى جذب الانتباه اليهم ، ومن سن ٥ ــ ٧ سنوات يظهرون غضبهم احيانا فى صورة التشنج بالبكاء والعصيان .

أما الأطفال بين السابعة والحـادية عشرة فيظهرون غضبهم بالعناد وانهياج والملل أو بالاكتئاب والخمول ، والشكوى من الشعور بالاجهاد والتعب السريع .

ويمكن تلخيص اساليب الغضب عند الأطفال بوجه عام فى اسلوبين : الأول ايجابى ويتميز بالثورة أو الصراخ او الغضب او اتلاف الأشياء الى غير ذلك من اساليب الانفعال الايجابية . اما الأسلوب « الثانى » فهو اسلوب سلبى يتميز بالانســـــحاب أو الانزواء أو التجهم أو الاضراب عن الأكل او الآخـذ والعطاء الى غير ذلك من الأساليب السلبية ، وهو أحد أنواع الانفعال لأنه يعتمد على الكبت ، بعكس الأسلوب الايجابى الذى يفرغ فيه الطفل الغاضب شحنة الغضب ويعبر عنهـــا بصورة ظاهره ؛ تعطى البيئة فرصة للتفاهم معه والوصول الى حل مرض أو تفهمه أنه مخطىء فى غضبه .

العوامل التى تساعد على ظهور نوبات الغضب والعناد والتشاجر عند الأطفال :

١ ـ الخلافات الأسرية : ان العائلات التى تسودها المؤثرات الانفعالية وتعـــانى من مشكلات السيطرة أو الخضوع بين الزوجين ، أو عـدم القـدرة على التغلب على الاختلافات بين الزوجين ، وعدم التعاون والخلاف بينهما حول تربية الطفل ، تلك العائلات تتأثر فيهـــا الصحة النفسية للطفـــل تأثرا كبيرا ويؤدى به ذلك الى التوتر والانفعـــال الذى قـد يأخذ صورة نوبات غضب أو تماد أو تشاجر .

٢ ـ تعدد السلطات الضابطة لسلوك الطفل : كثيرا ما يؤدى تعدد السلطات الضابطة لسلوك الطفـــل الى ارتباك الطفل وثورته وغضبه ويحدث ذلك عادة للأطفال الذين يعيشون فى بيئة تشـــمل الجـد والأخوال والأم أو الأب أو كليهما . ويكون لـكل منهما سلطة توجيه الطفل أو نقده ، فالطفل فى مثل هذه الأجواء العائلية يشعر بالارتباك وبتعدد السلطة الضـــابطة ، وبخاصة اذا كان الأب بعيدا عن المنزل أو متوفيا أو كان قد طلق الأم ، فيشعر بأنه لا ينتمى الى والد كبقيـــة الأولاد ، وتأخذ صورة الارتباك هيئة نوبات غضب وتماد .

٣ ـ السلطة الضابطة المتغيرة : ان السلطة الضابطة المتغيرة ، كأن يكون الأب فى صف الطفل ، يجيب رغباته وتكون الأم على نقيضه أو العكس ، تؤدى بالطفل الى نوبات الغضب كلما رفض له أحد الابوين طلبـــا ثم الانحياز الى الآخر ، كما أنه اذا طلب الطفل من احد الأبوين طلبا وامتنع عن اجابته ، ثم صرخ الطفل وغضب

فاجيب الى طلبه ، فانه يلجأ الى الغضب والصراخ كلما رفض له طلب . وقد يلجأ الى هذا الأسلوب المرضى للتوافق والتكيف فى مواقف الحياة فى الكبر .

٤ ـ عصبية الآباء وثورتهم لأتفه الأسباب أو شجارهم وعدم التوافق بين الأب والأم الى عصبية الأطفال وثورتهم وغضبهم أيضا لأتفه الأسباب ، وان كانت هناك حالات تؤدي فيها عصبية الآباء الى سكون الأطفال وسلبيتهم وانزوائهم وجنوحهم الى أحلام اليقظة .

٥ ـ التدليل والحماية الزائدة : كما تؤدى قسوة الآباء وعصبيتهم وثورتهم لأتفه الأسباب الى نوبات الغضب المرضية . ان التدليل واجابة كل رغبات الطفل فى صغره يجعله يعتاد أن تستجيب له البيئة دائما بتلبية رغباته حتى فى كبره . وبمعنى آخر ان التدليل لا يتيح للطفل أن يتعلم ضبط نزعاته ، لأنه لم يحدث فى حياته الأولى ان وجد ضرورة لذلك ، ومن ثم ينشأ على نظام ضعيف لضبط النزعات ، فيستجيب استجابة فجة لأى نزعة أو رغبة فى نفسه ، ويجد نفسه مدفوعا بقوة لا شعورية بدائية لتحقيق رغباته ، فان لم تتحقق ثار ثورة عنيفة ، حتى لو أراد أن يصطنع سلوكا مغايرا متمشيا مع ثقافة المجتمع والبيئة .

مما سبق يمكننا أن نقرر أن التدليل والمبالغة فى اجابة رغبات الطفل يؤدى به الى نوبات الغضب تماما كما يؤدى به الضبط المبالغ فيه ، والقسر على اتباع ما تفرضه البيئة والثقافة ، بدرجة مبالغ فيها .

٦ ـ الضعف العام والتشوهات الخلقية : يؤثر الضعف العام والتشوهات الخلقية على شعور الطفل بالنسبة للمجتمع الخارجى ، فيشعر بالنقص والعجز

وضعف الثقة بالنفس . وذلك لعدم قدرته على عمل ما هو مطلوب منه ، وهو يجد صعوبة فى التوافق ويشعر بأن الحياة صعبة وأنه مكروها من جميع الناس فيزداد توتره الداخلى ، ويظهر هذا فى صـــورة نوبات غضب وثورة لأتفه الأسباب .

علاج نوبات الغضب والعناد والتشاجر :

رغم أن الغالبية العظمى من أعراض الغضب والعناد والتشاجر فى السن المبكرة يعتبر سلوكا طبيعيا ، فان العلاج ينحصر فى توجيه الآباء للأساليب التربوية الواجب اتباعهـا فى مثل هـذه المواقف ، على أســاس فهم سيكولوجية الطفل وأساليب اشباع حاجاته النفسـية للحب والأمن والطمأنينة والتقدير واثبات الذات ، ولذلك يجب أن توجه عناية خاصة عندما تستمر هذه الأعراض كأساليب سلوكية اذا ما تجـاوزت سن الطفل الطفولة الأولى أى بعد الخامسة أو السادسة .

كيف يبدأ العلاج ؟

يجب أن يبدأ العلاج أولا بدراسة الحالة الصحية للطفل ، فأحيانا يكون سبب سرعة الغضب والتشاجر راجعا الى اختلال فى الغدد الدرقية ، أو الضعف العام ، أو سوء التغذية وغيرها من الأسباب الجسمية التى قد تؤدى الى الغضب والتشاجر والعناد .

هذا كما أن الأطفال ذوى العاهات ، ان لم يعاملوا معاملة تحقق لهم الشعور بالتقـدير وتعويض النقص فانهم كثيرا ما يصبحون مشـــكلة وخصوصا اذا كانت البيئة تعاملهم بالعطف الزائد أو تعيرهم بما يعانون منه من نقص .

هذا كما يجب دراسة حالة الطفل النفسية عن طريق دراسة علاقاته بالأسرة وأسلوب التربية الذى يعامل به سواء فى المنزل أو فى المدرسة . حتى نكون فكرة صحيحة عن آثرها عليه ومدى ملاءمتها له ، كما يجب آن ندرس كيف يشغل الطفل أوقات فراغه ، أو هل هو مرهق ارهاقا شديدا بالدراسة فى المدرسة ثم بالدروس الخصوصية بحيث لا يجد وقتا للراحه والاستجمام او الترويح عن النفس ، كما هو الحال فى كثير من العائلات القلقة على مستقبل الابن .

فى ضوء هذه الدراسة تنظم حياة الطفل وتوجه أسرته توجيهها تربويا يحقق للطفل اشباع حاجاته النفسية ، واثبات وجوده وذاته بأسلوب سوى يفتح امامه مجالات للتعرف على حياة تنمى استعداداته الفطرية وقدراته ومهاراته .

واجب الآباء لمنع نوبات الغضب والعناد والتشاجر :

١ ـ يجب على الآباء الاقلال كلما أمكن من التدخل فى أعمال الأطفال وحركاتهم ، حتى لا يشعروا بكابوس الكبار ويثوروا غضبا أو يلجأوا الى الفساد ، وحتى لا يلجأوا الى استعمال نفس اساليب الآباء مع اخوتهم واخواتهم من الأطفال فيتشاجرون .

٢ ـ يجب على الآباء أن يقلعوا عن عصبيتهم وثورتهم لأتفه الأسباب أمام الأبناء وأن يعملوا جهدهم لضبط النفس قدر الامكان حتى لا يقلدهم الأطفال ، فالطفل السوى هو الذى ينشأ فى منزل يسوده الانشراح وعدم الخوف من الآباء .

٣ـ لا يجوز أن نعبث بممتلكات الطفل أو نسمح

لغيره من الأطفال بذلك ، كما لا يجوز أن نحرمه منها لمجرد غضبنا منه لسبب ما ، وفى نفس الوقت الا نظهر أمامه الضعف أو التراخى أو الاهمال ، أو الشدة من احد الأبوين والليونة أو التدليل من الآخر ، فكلما كانت سياستنا مع الأطفال ثابتة ومرنة وبدون قلق ، منعنا نوبات الغضب والعناد والتشاجر عند الأطفال . وفى نفس الوقت لا يجوز ان نجيب الطفل لرغباته لمجرد صراخه أو غضبه أو عناده ، بل يجب أن نثنيه عن هذا الاسلوب فى السيطرة على البيئة ، ونعوده على التفاهم والمرونة فى الأخذ والعطاء .

٤ ـ يجب على الآباء الا يستخدموا طفلا من أبنائهم كوسيلة للتسلية فى الأسرة أو عند حضور الضيوف ، كما لا يجب استثارة الغيرة بين الأطفال وذلك بمقارنة طفل بطفل آخر مما يدفعهم الى الغضب والتشاجر .

٥ ـ يجب على الآباء شغل أوقات فراغ أطفالهم وتشجيعهم على اللعب مع أقرانهم ليتعلموا الأخذ والعطاء وليستنفدوا الطاقة الجسمية الزائدة عندهم والتى زودتهم بها الطبيعة كى يتحركوا كثيرا ويتمرنوا على الحياة .

٦ ـ عند تشاجر الأطفال يحسن كلما أمكن تركهم ليحلوا مشاكلهم بأنفسهم ، واذا كانت هناك ضرورة للتدخل من الكبار فيجب ان تكون للتوجيه والنصح الهادىء دون تحيز لأحد الأطفال .

واخيرا فان الدراسات العلمية اثبتت ان كثيرا من حالات الغضب والعناد والتشاجر عند الأطفال مرجعها في الغالب الآباء أنفسهم ، اى أن الآباء كثيرا ما يكونون

مصدر هذه المشاكل بسلوكهم الذى يتسم بالحزم المبالغ فيه والسيطرة الكاملة على الطفـل ورغبتهم فى اطاعة اوامرهم طاعة عمياء ، وبثورتهم فى المنزل لأتفه الأسباب، مثل هؤلاء الآباء يجب ان يدركوا أنه من الواجب اصلاح انفسهم حتى يمكن اصلاح أبنائهم وعلاجهم من مشاكلهم النفسية والسلوكية كالغضب والعناد والتشاجر .

الهروب عنـد الاطفـال

ان شعور الطفل بأنه يتمتع بكامل الرضى والعطف من ابويه مصدر راحته النفسية ومبعث طمأنينته ، وهمـا عاملان جوهريان لتقدم شخصيته وسيرها نحـو النمو السليم والسلوك السوى ، فلا يكفى الطفل ان نوفر له الغذاء والنظافة فقط ، بل ينبغى الى جانب هذا وذاك ـ ان لم يكن قبلهما أن نوفر له الطمأنينة النفسية التى يستمدها من شعوره باهتمام والديه به وعطفهما عليه وحبهما له وتقديرهما . فاذا فقد الطفل هذا الشعور لجأ الى التعبير عن قلقه بالسلوك المنحرف الذى يظهر بصور متعددة منها ظاهرة « الهروب » . لذلك علينا تبين السبب أو الدافع الخفى المستتر وراء السلوك الغريب أو المنحرف حتى يمكننا قبل ضياع الفرص أن نضع الأمور فى نصابها ، بما يكفل تحقيق حاجات الطفل النفسية ، ويوثق العلاقة بيننا وبينه ، وفى الوقت نفسه نكسبه خبرات شخصية مباشرة .

١ ـ الهروب من المدرسة :

ان المهمة الأولى للمدرسة التى تقدر مسئولياتها وتعى رسالتها ، العمل على توفير الشعور بالطمأنينة لأطفالهـا ومنحهم قدرا مناسبا من الحرية يتيح لهم أن يمارسوا

ويختبروا بأنفسهم الأمر الذى يثير عنـــــدهم اليقظة الذهنية ، فيشعرون بما حولهم ويحسون احساسا واعيا بما يحيط بهم ـ حينئذ يتفـــاعل التحصيل العلمى مع شخصية المتعلمين الصغار وهذه الغاية التى يصبو اليها كل من الأسرة والمدرسة .

أما اذا لم تقم المدرسة برسالتها نحو اشباع حاجة الطفل الى عطف وحب الكبار وتقـــديرهم له وشعوره بالانتماء بصورة تحقق حاجته للشعور بالاطمئنان ، عن طريق اتصال المدرسة بالمنزل حتى يمكن اجراء التعديلات اللازمة لحل الصعوبات البسيطة التى تطرأ من آن الى آخر ، فان اهمال ذلك سوف يعرض التلميذ للصراعات النفسية التى تنتج من اختلاف الأسرة فى اتجاه التربية عن المدرسة ، فيصبح التلميذ فى حيرة لا يعلم فى أى اتجاه يسير ، وأخيرا تحل هذه الصراعات بالانحراف فى السلوك كالهـــروب من المدرسة أو المنزل ، والكسل والخمول وأحلام اليقظة ، وسهولة الانزلاق الى مســاوىء مثل التدخين أو الشره الى غير ذلك من ضروب الانحراف مما يتطلب ازدياد الحاجة الى المجهود العنيف اللازم حتى يواصل التلميذ عمله ، الى غير ذلك من الظواهر العديدة التى تدل على عدم الاستقرار النفسى الداخلى للتلميذ .

أسباب الهروب من المدرسة :

١ ـ كراهية الطفل للدراسة : ويحدث ذلك فى أغلب الأحيان عندما يكون ذكاء الطفل محدودا أو متأخر عقليا ، ولا سيما اذا كان فى فصل أعلى من مستواه ، أو طلب منه الوصول الى مستوى أكبر من قدرته فيشعر بالضيق

لعدم امكانه فهم الدروس أو استيعابها ، وسرعان ما يختلق المعاذير للتخلص من الذهاب الى المدرسة . وقد يلجأ بعض الأطفال الى الخروج من المنزل فى الميعاد أيضا ، لايهام الأسرة انه كان فى المدرسة ، فى حين انه كان يذهب الى أماكن أخرى أكثر تسلية وملائمة لمزاجه وقدرته .

وفى بعض الأحيان يعانى الطفل المتفوق شعورا بالضيق لتفاهة الدروس ، ويصور له الغرور أن غيابه لبضعة أيام لن يؤثر فى تحصيله الدراسي ، فيتغيب عن المدرسة تبعا لذلك .

٢ ـ الخوف من العقاب : قد يخاف الطفل من ضرب المدرس له أو عقابه أو تأنيبه أو سخريته منه ، فعندما يكون فى طريقه الى المدرسة ويتذكر احتمال العقاب يغير طريقه الى مكان آخر غير المدرسة ، يمكن أن يلعب ويتسلى فيه . وفى بعض الأحيان ، بسبب ارتباك المنزل أو اهمال الأم ، لا يتمكن الطفل من الوصول الى المدرسة فى الوقت المناسب ويتأخر عن ميعاد بدء الدراسة ، فيعاقب على ذلك غالبا ، فاذا تكرر التأخير وتكرر العقاب فيفضل الطفل فى حالة التأخير الا يذهب الى المدرسة .

٣ ـ التحريض : قد يحرض بعض الزملاء التلميذ لكى يقفز من السور مثلا كنوع من المغامرة الجريئة ويخشى التلميذ أن يتهم بالجبن فيطيع زملائه فى انحرافهم ، ومن السهل اصلاح هذه الحالة بالمناقشة الهادئة مع الاقناع .

٤ ـ اتجاه الأبوين بالنسبة للتعليم : بعض الآباء يحتقرون أو يحقرون مستوى التعليم الحالى بالنسبة لما كان في زمانهم ، وبذلك يفقد الطفل الثقة والاحترام

للمدرسة . وبعض الآباء لا يهتمون بالمواظبة والمحافظة على المواعيد فيمنعون الطفل من الذهاب الى المدرسة لأتفه الأسباب كوجود زوار أو الرغبة فى عمل رحلة أو زيارة للأقارب أو لحاجة الأم لمساعدة الطفل والأعمال المنزلية . وفى الريف وفى المجتمعات الفقيرة يحتاج الوالدان لمساعدة ابنائهم فى العمل فى الحقل او فى المنزل فيمنعون الأبناء من الذهاب الى المدرسة ، وبذلك يبعثون فى نفس الطفل الاستهتار بالدراسة فيلجأ للغياب كلما شعر بعدم الرغبة فى الذهاب الى المدرسة ، وبعض الآباء يكتفون بأن يتعلم الطفل القراءة والكتابة ثم يرسلونه للعمل ليساعد فى تكاليف الحياة . وفى حالات الفقر الشديد يصبح نقص الملابس والأحذية سببا يمنع الطفل من الذهاب الى المدرسة . وأحيانا يستغل بعض الآباء أطفالهم فى التسول والسرقة .

٥ ـ الرغبة فى المغامرة واكتشاف العالم : عندما تكون الحياة المدرسية جافة خالية من الرحلات والترفيه يشعر الأطفال برغبة شديدة فى التجوال لرؤية الحدائق والأماكن المختلفة ، وخاصة عندما يشعرون بعدم قدرتهم على متابعة الدروس ، فالمغامرة تعطيهم شعورا بالأهمية ليعوضوا النقص الذى يشعرون به فى المدرسة . -

(٢) الهروب من المنزل : ان البيت المستمتع بجو عائلى هانىء ، هو البيت الذى يمد أصحابه بالطمأنينة ودفء الشعور ، ويتيح لهم حرية فردية ينظمها التفكير التعاونى والرغبة فى رعاية حقوق الغير ، هو البيت الذى تقوم فيه المعاملة على اساس من الزمالة والتقدير، وهو ايضا المكان الذى يجد فيه أصحابه الصدر الرحب

الذى يجمع بين العطف والحزم ، والقلب الكبير الذى فيه متسع للتسامح ، والعقل الراجح الـذى يحسن التوجيه وأداء النصيحة .

فالبيت الهانىء هو المكان الذى يجد فيه الطفل نموا طبيعيا سليما من جميع الوجوه : جسميا وعقليـــا واجتماعيا ، وهو أيضـــا المـــكان الذى تتفتح فيه الاستعدادات الـكامنة لدم الطفل فتتكشف له قدراته ، ويطمئن الى نفسه والى من حوله .

اما البيت المضطرب ، فلا يصلح بأية حال لتنشئة الانسان الصغير ، مهما يتوفر المال والجاه وغير ذلك من وسائل التعويض المادى — فالبيت المضطرب لا يخرج منه الا انسان مضطرب التفـكير ، معتل الاحساس ، تعوزه سلامة النظرة الى نفسه والى غيره ، ولن يكون هذا الفرد سعيدا ولا مواطنا نافعا قط . « وفيما يلى الأسباب التى تؤدى الى هروب الطفل من المنزل » :

١ — شعور الطفل بالتعاسة أو الشـــقاء بالمنزل ، والظروف المنزلية السيئة المضطربة تدفع الطفـل الى محاولة التخلص من هذه الحياة والهروب منها .

٢ — اذا ارتكب الطفل خطأ يعلم أن له عقابا شديدا ، دون تفاهم مع الوالدين وعدم احساس بالاطمئنان اليهم ، لجأ الى الهروب من المنزل وهو يذهب عادة الى أحـــد الأقارب الذى يسعد معهم كى يحميه من غضب الوالدين وسوء معاملتهم له .

٣ — الغضب من سوء المعاملة أو اعتقاد الطفل انه مظلوم أو حرم من شيء أعطى لأخوته ، وفي هذه الحالة

يهدف الطفل الى الانتقام من الأبوين مع الأمل ان يشعروا بقيمته اذا غاب عنهم .

٤ — الحقد والغيرة التى تنتج من سوء معاملة أفراد الأسرة للطفل تجعله فى حالة مستمرة من التفكير فى الهروب من هذا الجـــو الذى لا يوفر له الاحساس بالطمأنينة ، ويبث فيه الحقد على من فيه ، فاذا وجد فرصة سانحة نفذ ما كان يفكر فيه .

٥ — يكثر هروب الطفـــل فى « حالة غياب أحد الوالدين » لسبب ما ، كما يحدث فى حالات الأطفــال اليتامى أو المتبنين ، وتفكير الطفل فى هذه الحالة أنه يريد أن يجد والديه فيبحث عنهما على غير هدى .

٦ — الأمل فى عمل أو ربح أو شهرة ، يدفع هذا الأمل الكثير من المراهقين الى ترك منازلهم للبحث عن هذه الأهــداف ، وقــد يــكون ذلك بدون علم الأبوين أو رضاهم ، أما فى الحالات التى يكون فيها الوالدان على علم بذلك ، فلا يسمى هروبا بل يسمى هجرة ويكثر هذا فى المجتمعات الفقيرة .

٧ — التخلف العقلى : تجذب الأضواء والأشياء المغرية فى الشوارع بعض ضعاف العقول فيخرجون اليهـــا ويسيرون فى الشوارع دون هدف معين حتى يضلوا الطريق .

٨ — الصرع : كتجوال المريض فى الشوارع فى حالة فقدان الوعى أثناء النوبات بدون وعى ، ولا يتذكر المريض شيئا مما حدث .

٩ — المرض العقلى : كمرض الفصام وفيه قد يطيع المريض هاتفا يدعوه الى الذهاب الى أماكن مختلفة أو هدف معين أحيانا .

علاج الهروب عند الاطفال

يتوقف العلاج على ظروف كل حالة ويجب مراعاة الآتى :

١ ــ التأكد من صحة الطفل الجسمية ومن سلامة حواسة التى قد تؤثر على تحصيله الدراسى ، وعدم وجود اية عاهات جسمية تكون سببا فى شقاء الطفل فى المدرسة أو المنزل .

٢ ــ التأكد من ملائمة ذكاء الطفل للفصل الذى يوجد به ، والتنبيه على المدرسة بوضع الطفل فى الفصل المناسب لقدراته التحصيلية .

٣ ــ البحث عن أسباب التعاسة فى المدرسة أو فى المنزل والتعرف على اتجاه المدرسين أو الزملاء نحو الطفل ومحاولة علاج المواقف التى تحتاج الى تعديل .

٤ ــ العمل على ايجاد وسائل اغراء فى المدرسة كالألعاب المختلفة والرحلات المدرسية وأوجه النشاط المختلفة مع العمل على تنمية الهوايات لدى الأطفال .

٥ ــ تصحيح اتجاه الأبوين نحو الدراسة والتعليم وتوضيح اهمية المواظبة .

٦ ــ تشجيع الاشتراك فى النوادى والرحلات .

٧ – توفير اسس الصحة النفسية للأطفال بالمنزل وبالمدرسة ، مما يكفل لهم الشعور بالأمن والطمأنينة فى علاقاتهم الأساسية مع من يحيطون بهم .

٨ – توفير المسكن المناسب لكل أسرة يساعد الطفل على الشعور بقيمته وبمكانته فى الحياة ، كما يعلمه احترام ملكيته الخاصة ويعطيه الاحساس بالانتماء للأسرة ولا سيما حين يتوفر احساسه بالطمأنينة لمن حوله .

٩ – توعية الآباء والأمهات بطرق التربية الصحيحة بكل الوسائل الممكنة لمناقشة مشاكل الأطفال فى كل أسرة والتوعية بما يتبع لتوفير الاستقرار والهدوء النفسى للأطفال فى المنزل والمدرسة .

١٠ – انشاء مدارس خاصة لضعاف العقول وذوى العاهات ووضع كل طفل فى المكان المناسب له لحمايته من التشرد والانحراف ، وتأهيلهم للحياة السوية .

الجزء الثانى

عرض بعض حالات نفسية للأطفال

البيت المستمتع بجو عائلى هانىء ، هو البيت الذى يمد أصحابه بالطمأنينة ودفء الشعور ويتيح لهم حرية فردية ، ينظمها التفكير التعاونى والرغبة فى رعاية حقوق الغير .

البيت للطفل بمثابة الارض للبذرة ، فالأرض الطيبة تنمو فيها البذرة نموا طبيعيا سليما ، وتنتشر انتشارا يعطى اكبر انتاج تستطيعه هذه البذرة . كذلك البيت الهانىء ، هو المكان الذى ينمو فيه الطفل نموا طبيعيا سليما من جميع الوجوه : جسميا ، وعقليا واجتماعيا ، وهو ايضا المكان الذى تتفتح فيه الاستعدادات الكامنة لدى الطفل ، فتتكشف له قدراته ، ويطمئن الى نفسه والى من حوله . وبعبارة موجزة البيت الهانىء هو البيت الذى يكسب الطفل ما يؤهله لمواجهة الحياة خارج البيت، وهو أيضا المدرسة الأولى للمرانة الاجتماعية. فاذا خطا الطفل الخطوة التالية وخرج من البيت لينضم الى المدرسة ويصبح عضوا فى أسرتها ، اقبل عليها مرحبا لأن الجو العائلى فى البيت مهد له السبيل لكى

يقيم علاقاته بالغير على أساس من الطمأنينة والتعاون .

وكما أن الأرض الضعيفة تسيء للبذرة ، كذلك البيت المضطرب ، لا يصلح بأية حال لتنشئة الطفل ، مهما توفر المال والجاه وغير ذلك من وسائل التعويض المادى ، فالبيت المضطرب لا يخرج منه الا انسان مضطرب التفكير ، معتل الاحساس ، تعوزه سلامة النظرة الى نفسه والى الغير ، ولن يكون هذا الفرد سعيدا ولا مواطنا نافعا قط . بل ان عددا غير قليل من الأسر — فى بلادنا — يعانى كثيرا من هذا النوع من التفكير المضطرب والشعور المعتل الذى يؤدى فى نهاية الأمر الى الانحراف فى السلوك وارتكاب أسوأ الأفعال فى حق الأسرة من ناحية والوطن من ناحية أخرى .

وفيما يلى قصة توضح تأثير التفكك العائلى فى اتجاه أفرادها الى الانحراف فى السلوك :

كان تلميذ فى الحادية عشرة من عمره يسرق كل ما تصل اليه يداه من نقود يجدها فى المنزل ، وأحيانا يسرق أقلام زملائه بالمدرسة ، الأمر الذى أدى الى عقابه من مدرسيه مرات متعددة ، وعلى الرغم من ذلك لم يقلع عن هذه العادة الضارة الأمر الذى أدى الى تحويله الى العلاج .

وبدراسة حالة هذا التلميذ تبين انه نشأ فى اسرة مفككة غير متعاونة يسود جوها دائما الخلافات الاسرية التى لا تنتهى ، يضاف الى ذلك أيضا أن الأب كان تاجرا يغيب عن المنزل طول اليوم ، ليس على وفاق مع زوجته ، مدمن الخمر ، يترك متجره كل ليلة حوالى السابعة مساء ثم يذهب لشرب الخمر ويحتسيه بشراهة وينفق

فى سبيل ذلك الكثير دون حساب ، غير عابىء بنفسه ولا بمستقبل أبنائه .

كان الأب يحكم أهل بيته بدكتاتورية لا تقبل المراجعة ، الكلمة دائما كلمته ، والرغبة دائما رغبته ، والويل لمن يناقش حقه فى فرض ارادته ، لأنه كما يعتقد فى نفسه أقوى وأعقل وأبعد نظـــرا من الناس كلهم ، وكرامته الشـــامخة كالجبل الأشم لا تقبل أن ينزل الى مدارك الاعتذار عن غلطة أو الرجوع فى رأى أو مجرد مناقشة حكم أو امر يصدره او رغبة يبديها .

أما الأم فكانت مثقفة ثقافة محدودة ، لا تزيد عن مستوى الرابعة الابتدائية كانت امراة سلبية لا تجرؤ على الوقوف أمام زوجها ولو فى أبسط الأمور ، تجيب رغباته حرفيا ، ولا تهتز ولو قليلا لألوان بطشه وسيطرته التامة على حياتهم ، كانهم عرائس خشبية يحرك خيوطهـــا بأصابعه الصلبة . كان الاب يترك مصروف البيت للأم ويراقب تصرفاتها فى كل ما تصرفه ، كانت مقترة للغاية لا تعطى أولادها مصروفا معقولا ، ولا تعنى بملبس أولادها لأنها لا تصرف كثيرا على ملبسهم . كانت الأم تعانى من الخوف من المستقبل تدخر كل ما فى وســـعها خشية أن ينهار زوجها ماليا لادمانه الخمر وعدم قدرتها على اقناعه بالتوقف عن هذا الادمان .

كان الابن يرى أقرانه فى المدرسة يلبسون أفخـــر الثياب ويصرفون كثيرا فى شراء الحلوى والأكل من كانتين المدرسة وهو غير قادر على مجاراتهم ، يرغب فى الاشتراك فى فريق الكشافة والأم ترفض ، لأنها لا تريد أن تعطيه تكاليف ملابس الكشافة . الأم تعكس كراهيتها للأب على الابن بسوء معاملته وحرمانه مما يرغب .

لجأ الابن اخيرا نتيجة هذا الحرمان الى سرقة ما تصل اليه يداه من نقود فى المنزل ليجارى أقرانه فى الشراء من الكانتين والتدخين ويتباهى بذلك امامهم . وكان يسرق كتب أقرانه ويبيعها بأبخس الأثمان لمكتبة مجاورة للمدرسة ، ويسرق الكراسات ويبيعها أيضا .

كان الابن هو آخر العنقود ، ولم يكن فى العنقود ذكر سواه ، فقد كانت الأم لا تنجب الا اناثا ، أنجبت سبع اناث خلال خمسة عشر عاما ، كانت منهن اثنتان احداهما زهقت أنفاسها قبل أن ترى النور ، والثانية أخمدت روحها بسبب اصابتها بحمى نتيجة اهمال الأم . أماالبنات الخمس الأخريات فقد عشن وملأن حياة والديهما ، ومع ذلك فقد كانا يشعران بحاجاتهما الى ابن ذكر يعتمدان عليه فى شيخوختهما لرعاية هذا القطيع من البنات .

واخيرا وصل هذا الابن آخر العنقود ففرحا بمقدمه ، وكانا يرغبان فى تنشئته افضل تنشئة ، الأمر الذى كان يحتم فى بعض الأحيان سوء معاملة والده له خوفا عليه من الانحراف ، يضربه بقسوة كى يذاكر دروسه خوفا من فشله فى الدراسة .

كان الابن متوسط الذكاء ، متعثرا فى دراسته ، مصابا بعض الشيء باللعثمة فى الكلام ، التلاميذ فى الفصل يضحكون عليه ويسخرون منه ، وكذلك كان المدرس يهزأ به ويقلده فى لعثمته فيضحك باقى الأولاد فى الفصل ، الأمر الذى أدى الى كراهية التلميذ الى كل من بالفصل ، وكذلك كراهية بعض مدرسيه الذين يسـخرون منه ، واخيرا لجأ الى سرقة كتب الأولاد، وخاصة كتب الحساب لكراهيته الشديدة لتلك المادة ولمدرسها .

تكررت السرقات وبدات الشكوى منه تزداد واخيرا

ابلغت المدرسة اسرته بهذا الانحراف ونصحتها بضرورة علاجه من هذا الداء قبل أن يستفحل ويزداد ولتجنب مضاعفات هذا الداء فيما بعد فى مستقبل حياته .

التعليق :

ان هذا الطفل نشأ فى جو أسرى غير صالح من اب قاس ، عنيف ، مدمن خمر ، لا يقدر احاسيس ابنائه ، وأم جاهلة مقترة تحرم ابنائها من كل ما يحتاجون اليه من الوسائل التى تبعث السعادة الى نفوسهم ، يضاف الى ذلك الخلافات المستمرة التى كانت تقوم بين والديه نتيجة اسراف الوالد فى ادمان الخمر وعدم تقديره لمستقبل ابنائه ، فكان هذا الابن فى هذا الجو الخانق بالحقد والكراهية لا يشعر بالدفء العاطفى لا من الأب ولا من الأم ، ولذلك كان يعانى من الشعور بالقلق النفسى والشعور بالنقص خاصة أن ملابسه ومصروفه أقل من أقرانه ، الأمر الذى دفعه الى السرقة لاثبات ذاته .

يضاف الى ذلك أن طفولة هذا الابن ، كانت لفترة طويلة تدليلا لأنه الولد الوحيد وباقى أخواته بنات . وفى فترة التدليل كانت كل رغباته تجاب ، وبمعنى آخر انه درج لعدة سنوات على أن تجاب رغباته ومن ثم لم يتعلم مقاومة اية رغبة ، ثم فجأة تغيرت المعاملة بعد دخوله المدارس ، وبعد أن كان مركزه فى العائلة ممتازا أصبح يعاقب بالضرب الشديد ويحرم من الشعور بالتقدير والمشاركة الوجدانية ، فكان يحاول بالسرقة تحقيق رغباته التى كان قد اعتاد على تحقيقها فى طفولته .

ونظرا لتفشر الابن فى دراسته ولعثمته فى الـكلام كان غير متقـــدم فى المدرسة وغير محبـــوب من مدرسيه وأقرانه ، مما أدى الى القسوة فى معاملته والاستهزاء به من المدرســـين ومن أقرانه دون مراعاة لأحاسيسه المضطربة ، الأمر الذى أدى فى النهاية الى التجائه الى سرقة كتب وأقلام وكراسات التلاميذ ثم بيعها بأرخص الأثمان ، وذلك انتقاما منهم لكراهيته لهم .

ومع ذلك فقد أمكن علاج الطفـــل النفسى وبتوجيه الوالدين الى ضرورة فهم حاجته النفسية واشباعها مع توفير الجو الأسرى الهادىء الذى يشـــعر فيه بالحب والعطف والطمأنينة ، الذى يساعده على الاحساس بالانتماء وانقاذه من الانحراف السلوكى ، وقمت كذلك بالاتصال بالمدرسة ووضحت للمدرس حاجة هذا الطفل الى فهمه وتقديره وتشجيعه كى يســـاعده على التخلص من داء السرقة واللعثمة فى الكلام ، فهذه جميعها سببها اضطراب الابن نفسيا لاحساسه بالغضب وفقد الثقة بالنفس لسوء معاملته فى المنزل وفى المدرسة .

ولحسن حظ هـذا الابن ، أن اســـتجابت الأسرة والمدرسة للتوجيه ، وبذلا ما فى وسعهما لمساعدة هذا التلميذ لتخليصه مما يعانيه من انحراف فى السلوك ، ثم بدأ ينتظم فى المدرسة ، وظهر تفوقه فى دراسته وكان مصيره النجاح فى نهاية العام ، وبذا أنقذه العلاج الطبى النفسى من تدمير مستقبله وتوجيهه الى طريق الســـلام الذى يؤهله الى أن يهدأ نفسيا ويطمئن داخليا ، فينجح فى أعماله فتسعد الأسرة به ويفخر الوطن بأعماله .

مما سبق نرى أن الانحراف السلوكى للطفـــل سببه افتقاده الاحساس بالحب والحنان والدفء الأسرى فيفقد

الاحساس بالانتماء الى اسرة ، وبذلك يسهل انزلاقه الى مهاوى الرذيلة والانحراف فى السلوك . لذلك فان توفير الجو الأسرى الصالح يساعد الطفل على أن يحيا فى جو خاص به ، كله أمن وطمأنينة وعطف مستنير وتفاهم متبادل ، يتعاون الوالدان على تهيئته له لأنه حق من حقوقه بل وشرط من الشروط الأساسية التى تنهض بالطفل نهوضا شاملا ، فنشاهد تقدمه فى النواحى الجسمية والذهنية والنفسية معا فى نفس الوقت .

وكذلك فان دور المدرسة لا يقل أهمية عن دور الأسرة فى مساعدة الطفل على الاحساس بالاطمئنان ودفء الاحساس الداخلى وذلك عن طريق فهم الحاجات النفسية لتلاميذها ومساعدتهم على توفير الثقة بالنفس وعدم الشعور بالنقص عن طريق التشجيع والفهم لمشاعرهم .

ولذلك فباشتراك المدرسة والأسرة وتعاونهما معا ؛ يمكن خلق جيل صالح متفوق ، قوى ، مكافح ، له من الصفات النبيلة التى تساعد على توفير مستقبل سعيد منتج وحياة مستقرة هانئة فيما بعد .

انتقمت من والديها..
بتمزيق ملابسها

نالت التنشئة السليمة للطفل قسطا وافرا من اهتمام الدراسات الحديثة ونتائجها واصبحت المؤلفات والكتب المترجمة فى متناول من يعنى بالبحث عنها ، بقصد تتبع ما يجرى فى عالم الطفولة ـ لا من حيث أصول تنشئة الطفل فحسب ، بل ايضا من حيث أسباب مشكلات الطفولة والعوامل المؤثرة فى انحراف السلوك ، والوسائل التى تساعد على اعادة الهدوء والاستقرار الى نفس الطفل ونفوس من يشرفون على تربيته فى البيت والمدرسة والمجتمع . وعلى الرغم من توفر هذه الكتب المؤلفة والمترجمة ، التى تدور حول تفهم الحياة العقلية والانفعالية عند المولود الحديث ، والطفل ، والمراهق ، والشاب ، فاننا لا نزال حتى الآن ، نلمس الاستخفاف بمسئولية اعداد الأبناء اعدادا يساعدهم على الانخراط فى الحياة ، فى ثقة واقدام ..

ان عالم الصغير يختلف اليوم عن عالمه بالأمس وهو فى ذلك انما يساير الزمن . فنحن نواجه مشكلات لم يكن لأجدادنا عهد بها من قبل ، لذلك وجب أن تختلف نظرة آباء اليوم عن نظرة آباء الأمس بصدد حقوق الطفولة ومشكلاتها ، فاذا ما أتى الطفل عملا اثار غضبهم ـ

والأطفال كثيرا ما يقومون فى اعمار مختلفة بأعمال تسبب على اقل تقدير مضايقة من حولهم من الكبار - لم يكن فى هذا ما يبرر سخطهم ويدفعهم الى توقيع العقـــوبات القاسية عليهم على العكس من ذلك ينبغى أن ننتظر من اب وام اليوم أن يهدفا الى البحث وراء مظاهر السلوك لتلمس دوافعه ، حتى يتسنى لهما اختيار الأسلوب الذى يعالج المشكلة من الأساس ، وسأضرب لذلك مثلا لاوضح ما اقصد .

كانت أولى الأبناء الذين رزق بهم والداها ، فاستأثرت فى خـــــلال السنوات الأولى من عمرها بغاية حبهما وحنانهما ، وبفضل يسرهما المالى ودخلهما الوفير تنعمت بكافة الوان الرخاء والرفاهية ولكن هذا العهد الذهبى لم يستمر .

كانت فى العـام السادس من عمرها ، محبـوبة من مدرساتها بالمدرسة منسجمة مع باقى الأطفـــال الذين فى سنها ، وهى فى البيت أيضا لطيفة المعشر محبوبة من الجميع ، يميل الخدم الى مداعبتها لأنها تقبل المداعبة وتردها فى حدود الأدب .

ثم حملت الأم للمرة الثانية وانجبت صبيا تحققت به آمالها الدفينة فى أن يكون لها ابن ذكر يقف بجوارها فى مواجهة الحياة ، ويعين أباه فى شيخوخته ويخفف عنه اعباء العمل . وجاء الطفل لطيفا حلو الشمائل ، فاستحوذ على قلب أمه ، ولم يترك بذلك القلب مكانا ولو صغيرا لأخته الكبرى التى ظلت الى حين قرة عين والديها .

وبعد أن كانت تجلس على عرش المحبة فى أسرتها ، اصبحت تجد نفسها محرومة من جميع ما كانت تتمتع به من قبل ، انشغل الوالدان بالطفل الجديد بل عن كل

شيء ســـــواه ، فاذا خرج مع مربيته للنزهــة يودع بعبارات الوله والهيــــام ، واذا رجع يقابل بالترحيب والاكرام ، وعندما يضحك يعم الحبور أهل البيت كلهم وعندما يبكى يشيع الذعر .

ووجدت الابنة الصغيرة بأنها لم تعد مرغوبا فيها ولم يعد أحد يحس بوجودها ، وأن الأحباب القدامى قـد أنصرفوا عنها فدفعها ذلك الموقف الى التمرد على أمها ، وعصيان أوامرها ورغباتها على سبيل الانتقام لنفسها من المرأة التى هجرتها وأغلقت أبواب قلبها دونها .

استاءت الأم من تصرفاتها وعبرت عن ذلك بضربهـــا وحرمانها من أشياء تعرف أنها تحبها ، كذلك الأب ، ثار غضبا الى حد دفعه الى ضرب الطفلة ضربا قاسيا . ثم أخذت الأعمال المثيرة للغضب تتكرر من الطفلة فيتكرر معها استياء الأب والأم ، كل على طريقته ولكن على غير جدوى . والطفـــلة لم ترتدع ، بل أخذت تتمادى فى أعمالها المثيرة ، وتغيرت أخلاقها فأصبحت شرسة المزاج ، عنيدة ، مكابرة ، لا تخضع للأوامر ، ولا تحترم رغبات الـكبار بل كانت تأتى بأعمال تثير غضبهم ، التى تبلورت آخر الأمر الى حادثة لجأت فيها الى قص بنطلونات بدل الأب وتمزيق فســـاتين الأم ، الأمر الذى دفعهما الى الالتجاء الى المشورة الطبية النفسية وطلب العلاج .

وبدراسة الحالة تبين أن الطفلة كانت رقيقة الشعور وتستمتع بحب وحنان والديها ، وبولادة الطفل الجديد انصرف الوالدان عنها كلية ووجهـــا كل اهتمامهما الى الابن الصغير وكل منهما يعتبر أنه أدى واجبه كاملا نحو الابنة اليقظة الحساسة بما وفرا لها من مأكل وملبس . هذا السلوك من جانب الأبوين فيه تجــاهل لشخصية

الطفلة الأمر الذى سبب لها الآلام والشعور بالقلق فاضطرت الى اعلان احتجاجها ، بطريقتها الخاصة ، لتنبههما الى أنها شخصية يقظة تفكر ولها حقوق تتعدى نواحى المأكل والملبس بكثير .

اصيبت الطفلة بطعنة نفسية كبيرة حين تلفتت حولها فوجدت والديها تخليا عنها وأنزلاها عن عرشها دون وجه حق ؛ ولم تجد من والدها العوض عن الجوع العاطفى الشديد الذى أصابها بانشغال امها عنها ، فتضاعفت المرارة فى نفسها . هذه المرارة التى الجأت الطفلة الى التعبير عنها بالانطواء على نفسها ، وبالعناد والمكابرة والمشاكسة وكراهية من حولها ، الأمر الذى أدى فى النهاية الى حادثة قص بنطلونات والدها وتمزيق فساتين والدتها .

ومما زاد فى احساسها بالعذاب ضربها وعقابها من والدها ومن المدرسات بالمدرسة . حينئذ تأكدت انها مخلوق غير مرغوب فيه بعكس أخيها الذى يستمتع بكل شيء ، فأصبحت انسانة ينقصها الاحساس بالاخاء ، لا تنتمى الى أحد ولا أحد ينتمى اليها ، هذا الشعور القاتل الذى كثيرا ما يدعو صاحبه الى ارتكاب أبشع الأعمال .

بعد دراسة الحالة والظروف التى ادت الى اصابة الطفلة بالاضطراب النفسي أوضحت للأبوين الأخطاء التربوية التي ارتكباها فى حقها وقمت بتوجيههم الى كيفية التعامل معها واعادة ثقتها بنفسها واحساسها بالانتماء . وبعد فترة علاج قصيرة بدأ سلوك الطفلة يعتدل ، وتوقفت عن الأعمال المثيرة ، والمشاكسة والعناد ، وبدات المدرسات فى المدرسة يلاحظن التغيير الواضح فى سلوكها ، وأصبحت محبوبة من الجميع فى المدرسة وفى

المنزل ، نتيجة العلاج واتجـــاه المنزل والمدرسة نحـو تشجيعها واشباعها بالحب والحنـان والرعاية النفسية التي حرمت منها فترة طويلة .

التعليق :

هذه قصة طفلة تحدث أمثالها في كثير من الاسر وسوف اوضح الأخطـاء التربوية التى ارتكبت فى حق هذه الطفلة :

١ ـ اغراق الحب والحنان للطفلة في طفولتها الأولى واستجابة كل طلباتها دون حساب ثم توقف هذا الاهتمام الزائد فجأة .

٢ ـ تحول اهتمام الوالدين الى الطفل الجديد بصورة مبالغ فيها أمام الطفلة دون مراعاة شعورها اطلاقا فى أى تصرف يقومان به .

٣ ـ اعتقاد الوالدين الخاطىء بأنه طالما لا ينقص الطفلة المأكل والمشرب والملبس ، فان واجبهما نحوها أصبح كاملا دون تقصير .

٤ ـ بالرغم من تكرار سلوك الطفلة غير المرضى والتجائها الى المشاكسة والعناد والتدمير ، الأمر الذى ادى الى نفاد صبر كل من الأم والأب ، لم يهتم أحدهما بسؤال نفسه أو سؤال زميله ، ترى لماذا تتعمد الابنة العبث بملابسها وتسلك هذا السلوك غير المرضى ، هذا السؤال لم يخطر مطلقا على بال أحدهما .

٥ ـ التجاء الوالدين الى القسوة والعنف والضرب فى معاملتها دون محاولة فهم حاجاتها النفسية .

٦ ـ التجاؤهمـــا الى تحريض المدرسات على عقابها

وضربها عند تقصيرها او سوء سلوكها ، الأمر الذى أدى فى النهاية الى احساسها بأنها مكروهة من الجميع وبأنها لا تنتمى الى احد ولا أحد ينتمى اليها ، مما أدى فى النهاية الى ارتكابها أسوأ الأعمال .

ان الطفل فى اى سن مهما تكن صغيرة ، يعنيه أن يثبت وجوده ، فيتعمد ان يوجه انتباه الآخرين الى قدراته ومهاراته ـ فاذا فهمه وقدره ممن حوله ، كان ذلك مصدر اطمئنان له ومبعث هدوء لمن يهتمون بأمره ، هذا الاطمئنان وذلك الهدوء نستطيع جميعا ان نخلقهما فى بيوتنا لو أننا ادركنا ان تنشئة الأبناء أمر يحتاج الى الاستعانة بما يجرى فى عالم الطفولة ، بقصد الوقوف على أنواع الشعور لحياة ابنائنا فى جميع الأعمار ، والتعرف على حاجاتهم وتفهم ما يدق علينا من مظاهر سلوكهم . هذا اللون من الثقافة على ضآلة تكاليفه له أثر كبير ، فحسبنا أنه يعيننا على توجيه أبنائنا توجيها مستنيرا وترجمة سلوكهم ترجمة صحيحة يتوفر معهما الهدوء فى أركان بيوتنا .

ليس يكفى الطفل أن يوفر له الغذاء والنظافة والملبس فقط ، بل ينبغى الى جانب هذا وذاك ـ ان لم يكن قبلهما ـ أن نوفر الطمأنينة النفسية التى يستمدها من شعوره باهتمام والديه به وعطفهما عليه وحبهما وتقديرهما له .

لذلك ، علينا أن نتبين السبب أو الدافع الخفى المستتر وراء السلوك الغريب أو المنحرف ، حيث يمكننا قبل ضياع الفرص أن نضع الأمور فى نصابها ، بما يكفل تحقيق حاجات الطفل النفسية ، ويوثق العلاقة بيننا وبينه ، وفى ذاته تكسبه خبرات شخصية مباشرة .

الدوافع الخفية .. وراء انحرافه

ان العلاج فن وأهم عناصر هــــذا الفن هي البصيرة وصدق الالهام أو الحدس ، واذا كان هذا صحيحا في العلاج بوجه عام ، فهو أصح وأكثر انطباقا على العلاج النفسي ، فبقدر ادراك المعالج لمشكلات الشباب المشتركة ونفاذ بصيرته يكون نجــاحه في مهمته ، وتوفيقه في العلاج . ومما لا خلاف عليه أن مهارة المعــالج النفسي والمامه بأصول العلاج النفسي من عوامل تمكينه وزيادة حظه من التوفيق ، فاذا ما تزود المعــالج فوق هذا كله بالدراية بخفايا الحيل النفسية التي أماط اللثام عنهــا العلاج النفسي فانه يبلغ من التوفيق غاية مداه .

وكذلك ينبغي على المعالج النفسي الا ينزلق وراء المظاهر السطحية لسلوك الطفل أو الفتى فيسمى لصا ومتشردا وسارقا ، مكتفين بالوقائع الظاهرية وشكوى الوالدين . بل يجب البحث والتــــدقيق كي نصل الى البواعث الحقيقية التي يجهلها الشاب نفسه كما يجهلها والداه ، كما ينبغي ألا نعتقد ــ بجهالة ــ أن الفتى ملتو حيث يصر على كتمان ما في نفسه مع أن المسكين ليس أكثر منــا علما بما نرهقه بالسؤال عنه ونصر على التصريح به لنا .

وفيما يلي حالة تبين لنا الأهمية القصوى للثقــافة

النفسية ، وأهمية معرفة أصول ومبادىء العلاج النفسى ووسائله الأولية ، حتى بالنسبة للأطفال الأصحاء نفسيا وجسميا .

جاءت الأم ومعها ابنها البالغ من العمر ثلاثة عشر عاما ، ولما استقبلتها فى عيادتى أخذت تشكو من سوء سلوكه وبلغ من ضيقها به أن أصرت على أن تحيله الى احدى الاصلاحيات .

وعلى حسب عادتى ، بدات بمقابلة الأم أولا على انفراد ، وكانت سيدة نحيفة متوسطة الطول ، صغيرة الملامح ، نفاذة النظرات ، فياضة الحيوية ، ثابتة الجنان ، عرفت خشونة الحياة منذ طفولتها ، ورغم رخاء الحالة المادية بعد زواجها الا أن علاقتها العاطفية مع زوجها لم تكن على ما يرام ، وبعد سماعى القصة من الأم ، قابلت الفتى . دخل الصبى ، والحق أنه ترك فى نفسى منذ الوهلة الأولى أثرا طيبا ، فمظهره ليس فيه ما يدل على نقيض ذلك تماما كما يبدو نموذجا حسنا للمهذبين من الطبقة المتوسطة .

وأول ما لفت نظرى فيه انه أطول بكثير عن المفروض فى سنه . ولكن رغم طوله المفرط لم يكن هزيلا ، وكان قوى العود ، وكان وجهه فوق جسمه النامى مستديرا كوجوه الأطفال الصغار . ولاحظت أنه شديد العناية بتصفيف شعره الأسود اللامع ، والقيت نظرة خاطفة على يديه فوجدتهما يماثلان وجهه فى شدة النظافة ، وكان أنيقا فى ملبسه يبدو واثقا من نفسه .

وبدأ الفتى بتحية مهذبة ثم بدأ يسرد تاريخ حياته وتفاصيل حادث الهروب والسرقة ووصف حياته الأسرية .

نشأ الفتى فى أسرة ، العلاقة فيهــــا بين أبويه غير منسجمة لأن التفاهم بينهما كان متعــذرا فى مناسبات كثيرة لاختلاف وجهتى نظرهمــا فى معظم الأمور ، وكانت الأم أسرع الى الفضب من أبيه .

تزوجت الأم منــذ خمسة عشر عاما من رئيس عمال فى أحد المصـــانع وكانت تشتغل فى احدى مؤسسات القطاع العام . كانت الأم اسرع الى انفضب من الأب ، وحينما تغضب الأم يغادر الآب المنزل ولا يعود اليه الا بعد ساعات طويلة وأحيانا بعد ايام قليلة ، وتكون الأم قلقة جدا لفيابه .

كانت علاقة الفتى بأبويه بين الحب والبغض ، فحينما يشتد عليه غضب الأم يتجه بعواطفه نحو الأب ، وعندما يأبى الوالد أن يحميه عند خروجه لصيد السمك يتذمر ويسخط ويشكو لأمه ، فكان حب الفتى لأمه أكثر من حبه لأبيه .

كان الفتى أخت أصغر منه بعامين ، وكانت العــلاقة بينهما ليست على ما يرام وكثيرا ما كان يغضبها ، وكانت الأم دائما تنحاز الى صف الفتاة كلما اختلفا معا .

كانت أخته متفوقة عنه دراسيا ، أما هو فكان يكره الذهاب الى المدرسة ويتمنى ان يهجــــرها ليشتغل ميكانيكيا .

وفى مساء أحد الأيام السابق لهروبه ، قدمت الأم الى الفتاة مبلغا من النقود كى تبتاع فستانا جديدا . ولم يخطر لها أن تعطيه مبلغا مماثلا ليشترى حذاء لنفسه ، مع أن حاجته هو لحذاء جديد كانت أشد من احتياج أخته الى الفستان ، ولما غضب لم تستطع أمه أن تتبين لغضبه مبررا .

وفى اليوم التالى طلبت الأم من ابنها قبل أن تذهب الى عملها أن يشترى بعض الحاجيات اللازمة للمنزل ، وبعد أن عاد الى المنزل وأحضر ما طلبته أمه منه ، طرأت بذهنه فكرة الذهاب الى جهة مجـــاورة حيث أشجار المانجو كى يحضر لوالدته البعض منها ، وقد عرف طريق هذا المـكان من والده عندما كان يصاحب والده احيانا كلما خرج للتمشية ، وكان يمر بهذه الجهة .

وأخذ معه نقود أخته من الحصالة وبعض السندوتشات التى أعدها لهذا الغرض،وتوجه الى المحطة منتظرا القطار الذى سيوصله ثم استقل القطار ووصل الى المكان الذى يرغبه ، ومع الأسف لم يجد بالأشجار أنواع الثمار التى كان يرغب فى احضارها معه ، لأنها لم تنضج بعد ، ثم بدأ الخوف يتسرب الى نفسه لبعده عن المنزل فترة طويلة. وخشى من نتيجة عودته متأخرا ، فأخذ يجوس خـلال المزرعة هائما ، الى أن ساد الظـلام وأخذ المطر يتساقط ، ثم اضطر الى قضاء ليلته أخيرا فى حظيرة وجدها هناك ، وكان يرتجف فى هذه الليلة خوفا من أن يكتشف وجوده أحد أصحاب المزرعة راقدا بمفرده فوق كومة كبيرة من القش .

كان فى أول الليل يخشى أن يستغرقه النوم فلا ينهض فى ساعة مبـكرة ويـكتشفه المزارع نائما فى حظيرته ، فأدى هذا الخاطر الى قلقه طول الليلة . وما أن ظهرت أول تباشير الصباح حتى غادر الحظيرة وبقى مختفيا بين الأشجار رغم استمرار المطر فى ذلك اليوم ، خشية أن يضبطه أحد اذا دخل الحظيرة ، وقضى الليلة التالية فى نفس المكان .

وفى الصباح فكر فى العودة الى البيت لشدة الجوع

الذى كان يعانيه ، ولم يكن يشعر باى ندم أثناء عودته ، أما الخوف من العاقبة فلم يشعر به الا حينما اقترب من البيت .

ولما دخل البيت ، لم يجد هناك احدا سوى أخته ، فأخبرته أن أمها ستعود بعد قليل من عماها ، وان والديه ساخطان عليه سخطا شديدا بسبب هروبه . وترك اخته ودخل الحمام لأنه كان بحاجة شديدة الى تنظيف نفسه ، ثم ارتدى ثيابا نظيفة ونزل الى الشارع ليقابل أمه عند عودتها . فلما اقبلت وأبصرته لم توبخه بكلام كثير بل كان كل ما قالته له بهدوء « أنت ولد عاق وغير مطيع وينبغى أن أدخلك الاصلاحية » .

وفى اليوم التالى توجهت الأم بصحبة ابنها الى عيادتى لأخذ المشورة ولتحويله لاحدى الاصلاحيات أوالمؤسسات .

وبعد أن روت لى قصتها قابلت الفتى وروى لى التفاصيل السابق ذكرها ، فأطلعت الأم على المبررات التى ادت الى سلوك الفتى هذا السلوك وهروبه من المنزل وسرقة نقود أخته ، وأوضحت لها أنه فى حاجة الى العلاج النفسى ولا داعى لادخاله الاصلاحية وسوف يؤدى العلاج النفسى الى أحسن النتائج .

وفى خلال فترة قصيرة لا تزيد عن ثلاثة شهور ، بدأ الفتى يستقر نفسيا ، وتوقف عن عمليات الهروب والسرقة المتكررة ، وبدأ ينتظم فى دراسته وأصبح محبوبا ومرغوبا من الجميع فى البيت والمدرسة .

التعليق :

ان الفتى لا يبدو عليه دليل على المرض ، وليس هناك

ما يدعو للقول بوجود اســـتعداد فطرى للتشرد لديه ، وكذلك ليس فى وسعنا أن نعلل هروبه بالخوف من توقيع عقوبة معينة عليه ، أو نتيجة لشعور حاد بالقلق ، وليس لدينا فى الوقت نفسه الا حقيقة واحدة مقطوع بها ألا وهى تفسير الفتى لمسلكه كله على أنه تحقيق لرغبة استولت عليه فى أن يأتى لأمه بشىء من ثمار المانجو الذى تحبه ، وهذا هو التفسير الواضح لســـــــلوكه غير السوى كما أوضحه هو .

ولكن يجب أن ننظر الى الموضوع من زاوية اخرى ، فليس هناك ما يدعو للاعتقـــــاد بأن الفتى كان مشغول الفؤاد بحبه المفرط لأمه فى ذلك الوقت ، بل الحقيقة ــ وباعترافه هو ايضا ــ أنه كان عندئذ ــ ساخطا عليها منذ الليلة السابقة لأنها فى اعتقاده تحيزت لأخته وفضلتها عليه ، فأعطتها نقودا تشترى بها فستانا جديدا ــ وهو يرى أنه أولى منها واحوج الى شراء حذاء ، فحقد عليها وأراد أن ينتقم ويبتعد عنها بالهرب .

يضاف الى ذلك أنه لجا الى سرقة نقود أخته المخصصة لشراء فستانها ، كى يحرمها من شرائه لاحساسه بالظلم الذى يعانى منه .

ومن الملاحظ أيضـــــا أن الفتى غادر البيت متقمصا شخصية والده الذى كان من عادته مغادرة البيت اذا نجم شقاق أو شحناء بينه وبين الأم ويظل بعيدا عنه ساعات طويلة ، فقام الفتى بمثل ما يقوم به الأب .

وهذا السلوك التقمصى لشخصية الأب ، أتاح للفتى ان ينتقم من امه بما سببه لها من قلق لغيابه ، كمـــا كانت تقلق فى غياب والده بالخارج .

ومما يتسق مع الرغبة فى الانتقام من أمه ومن أخته

انه استولى على نقودهما ، وأما عدم مساسه بنقود أبيه على الرغم من معرفته بمكانها فيتسق تماما مع فكرة تقمصه لشخصية أبيه .

وبهذه السرقة أصاب عصفورا آخر اضافيا علاوة على العصافير السابقة التى أصابها بحجر واحد ، اعنى أنه سوى حسابه مع اخته . فسلبها النقود التى اخذتها من امها الليلة السابقة بقصد شراء فستان جديد ، ورآها تضعها فى حصالتها ، وفقدانها لهذه النقود يترتب عليه أن تضيع فرصة اقتناء فستان جديد لها قبل أن يحصل هو على حذاء له .

ومع ذلك فلم يذكر أيا من هذه التفسيرات بوضوح اثناء العلاج النفسي وأنه كان راغبا فى الانتقام ، وأن تقمصه شخصية أبيه يتيح له ان يقلده فى الطريقة التى يتبعها الأب لازعاج الأم وتنغيصها . وفى الوقت نفسه مظهره برىء أو طبيعي يخفى به هذه الرغبة القبيحة من رقابة الشعور الأخلاقية الكافية ، فغطى رغبته فى الانتقام بقناع من الطيبة والمحبة نحو أمه وهو قناع تقبله الأخلاق وترضى عنه ، وبهذا يكون السلوك المنحرف من الفتى عرضا يوفق بين القوتين المتعارضتين ، وهما حب الأم والوازع الأخلاقى من جهة ، والرغبة فى معاقبة الأم وتنغيصها من جهة اخرى .

وتحليل هذه الحالة يضيف الكثير الى معرفتنا بأسرار الانحراف العادية التى تبدو على كثيرين من الصغار والشباب ، ويبدو لنا أنها مجهولة السبب غير مفهومة ، ولا سيما ان بعض الشباب المنحرف فى هذه الحالة قد يكون فيما عداها سويا مهذبا .

وينبغى ايضا الا ننزلق وراء المظاهر السطحية ،

فنحسب الولد لصا ومتشردا مكتفين بالوقائع الظاهرية وبشكوى الوالدين ، بل يجب البحث والتدقيق كى نصل الى البواعث الحقيقية التى يجهلها الصبى نفسه كمـــا يجهلها والداه ، ولا نعتقد بحال ان الفتى ملتو خبيث يصر على كتمان ما فى نفسه ، مع ان المسكين ليس أكثر منا علما بما نرهقه بالسؤال عنه ونصر على التصريح به لنا .

وهذه الحـــالة تبين الأهمية القصوى لدراية الوالدين والمربين عامة بمبـــادىء التحليل النفسى لمعـــرفة ما وراء السلوك المنحرف .

فالسلوك غير الاجبارى دليل على أن العمليات النفسية شعورية ولا شعوريه ، ليست فى حالة وفاق ، فمثـــلا سرقة النقود التى أقدم عليها الفتى فى الحالة السابقة ، وهربه من البيت ، أنهما مظهران للانحراف ناتجان عن قوى نفسية لم تستطع الحصول على اشـــباع بصورة مقبولة اجتماعيا . فاضطر الفتى الى أن يسلك سلوكا لا يقبله المجتمع ، ولذا وصف هذا الســـلوك بأنه غير اجتماعى ، أو سلوك منحرف .

فالتشرد والسرقة وما اليهـــــا ، انما هى أعراض للانحراف ، شأنها فى ذلك ارتفاع درجة الحرارة والآلام والأورام التى تعتبر اعراضا للأمراض المزمنة . وبطبيعة الحال اذا اكتفى الطبيب بعلاج الأعراض الظاهرية ، كان مقصرا لأن فاعلية علاجه لا تمتد طبعـــــا الى المرض النفسى .

وهكذا ايضا يمكن أن يكون موقفنا من اعادة تربية الطفل المنحرف ، فمن الواجب عند قيامنا باعادة التربية أن تعنى بادراك اسباب الانحـــراف أكثـــر من اهتمامنا بأعراض الانحراف . ومن أكثر الناس خلطا فى هذا

الأمر الوالدان لأنهما بوسائل الاصلاح والتاديب والعقاب ينصرفان غالبا الى كبت السلوك غير الاجتماعى الذى هو مظهر الانحراف أو المرض ، ويخيل اليهما أن اختفاء هذا السلوك المستهجن معناه ان المشكلة قد انتهت ، والحقيقة أن اختفاء العرض ليس دليلا على زوال المرض ، فقد يتخذ المرض لنفسه أعراضا جديدة مختلفة عن الأولى ، وعندما يحال بين أحدى العمليات النفسية وبين الظهور او التحقيق أو الاشباع ، تظل هذه الطاقة النفسية كامنة تتربص الفرص للتنفيس عن نفسها من سبيل لا تعترضه الحوائل ، وبالتالى يظهر عرض جديد للانحراف نظنه انحرافا جديدا وهو فى الواقع صورة جديدة أو لون جديد أو قناع جديد للانحراف القديم .

واخيرا ينبغى دائما البحث عن الأسباب الحقيقية للانحراف وألا نكتفى بالبحث عن المثيرات المباشرة للانحراف ، فالمهمة الأساسية للعلاج النفسى هى اعادة تربية المنحرف وليست القضاء على المظاهر السائدة للانحراف ، فهما أشبه بانتزاع الحشائش الضارة من جذورها ، لا مجرد اختفائها من فوق سطح الأرض لأنها فى هذه الحالة ستعود الى الظهور ، وفهم هذه المسالة ضرورى للقضاء على كثير جدا من الأوهام المسيطرة على الناس فى تربية الأطفال والشبان . ويفسر لنا فى الوقت نفسه علة فشل العلاج فى كثير من الأحيان ، كما يفشل علاج الصداع الناجم عن تعب فى الكبد بتعاطى اقراص مسكنة كالاسبرين مثلا ، دون أن يعالج سبب تعب الكبد .

واحب ان أنبه فى الختام الى أن النظرية القديمة التى تعالج الانحراف بالقسوة المفرطة خطأ ، وكذلك النظرية

الحديثة جدا التى تعالج الانحـــراف بالرقة المفرطة والتدليل خطأ ايضا . اما الواجب أن يعالج المنحرف كما يعالج المريض ، فنفهم سر انحراف وتاريخ انحرافه وأطواره التى مر بها . وعلى ضوء هذا كله نتيح له بطريق العلاج النفسى تقمص شـــخصية جديدة وبناء نفس جديدة تختلف عن الأولى وتسير فى الطريق السوى الذى يرضاه لنفسه ويرضى به المجتمع .

هذا هو طريق العـــلاج النفسى لأزمات الشباب وانحراف الأطفال ، علاج أساسه العلم والفهم لا القسوة الفاشمة أو الحنان المفرط .

أنقذها العلاج النفسى من الضياع

كانت فى السادسة عشرة من عمرها ، الابنة الوحيدة لأبوين يتمتعان بقدر وافر من الجاه والمال ولكنهما مفرطان فى تدينهما لدرجة التزمت الشديد ، لا يؤمنان الا بحرفية الطقوس الدينية ولا يسمحان لتفكيرهما وتصرفاتهما بأن يسايرا روح العصر ويتطورا بتطور الحياة المتجددة ، ولم يكن لديهما سوى ابنتهما « تهانى » ، تركز عليها اهتمامهما وأحاطاها منذ البداية بنطاق حديدى من الصلابة والجمود . كانا حريصين فى توجيههما على أن تبدو دائما بصورة وقورة محترمة أمام الجميع فى المنزل وفى المدرسة دون الافراط فى الضحك والمرح والجرى حتى لا تكون معرضة لنقد أى انسان ، وأن تكون حسنة السيرة والسلوك فى المدرسة كى تكون سمعتها طيبة فى كل مكان .

تفتحت عيناها على الحياة وهى تجد نفسها ممنوعة تماما من من الضحك بصوت عالٍ وعدم مسايرة الأطفال فى لعبهم فى مرحلة طفولتها ، وعدم الاختلاط والتزاور مع زميلاتها فى المدرسة ومرحلة الدراسة . كانت أمها توصلها الى المدرسة ، ومن المدرسة تعود بها الى البيت لتقضى بقية النهار حبيسة بين الجدران لا هم لها الا

المذاكرة والويل لهـــا اذا حاولت أن تحيد عن النظـام الموضوع لها والذى حدده والداها ، لا تشترك فى أى رحلة ترفيهية تقوم بها المدرسة ولا فى أى انشـــطة اجتماعية مهما كان نوعها .

كانت لا تجرؤ على المعارضة لأن أهلهـــا الحريصين دائما على حبها وسعادتها قد علموها أن تقبل أوامرهم بصبر لا يحتمل الجدل وأن تسلم لهما حياتها ، ينظمونها لها بلا مناقشة أو اعتراض .

مرت حياتها بهذه الصورة الى أن دخلت الى المرحلة الثانوية ـ مرحلة المراهقة ـ كان دخولها فى هذه المرحلة دافعا الى مزيد من التشدد حماية لها من الجنوح المألوف فى فترة العمر التى تمر بها . وبقدر ما كانا يحبانها ويسهران على راحتها ، كانا فى ذات الوقت يقسوان من حيث لا يعلمان ، اذ كانا يحرمان عليها ارتداء الملابس الحديثة التى تلبسها زميلاتها من البنات ، ويفرضان عليها الفســاتين غير المتمشية مع العصر ، فتبدو بين الأخريات غريبة وشاذة ، وتقـاسى من زميلاتها لواذع السخرية وتحتمل كل هذا العذاب وهى راضية صامتة .

كانت على الرغم مما تعانيه نفسيا من احساس بالألم والعذاب والحرمان مجتهدة مجدة متفوقة على زميلاتها، من المتـــازات فى جميع المواد ، تمتدحها المدرسات وتفخر بنشاطها العلمى ناظرة المدرسة وتغدق عليهـــا الجوائز فى كل مناسبة لتفوقها الملحوظ .

كان الوالدان يسعدان بهـذا التفـوق ويشعران أن طريقتهما فى التنشئة سليمة ، فاستمرا فى مراقبـــة تصرفاتها والتشديد فى معاملتها .

وفى أحد الأيام وفجأة تغير سلوك الفتاة فى المنزل وفى المدرسة ، وأصبحت فى حالة مختلفة تماما عن حالتها الأولى : تتكلم كثيرا ،وتضحك بدون سبب ، وتثير الشغب فى الفصل وتهرج بكلام غير مفهوم وغير مترابط لا معنى له ، تهمل واجباتها بصورة ملحوظة غير مهتمة بعواقب هذا الاهمال . أخذ هذا السلوك يتكرر بصورة ملحوظة ، الأمر الذى أدى الى غضب المدرسين والمدرسات عليها وانتهى الأمر باستدعاء ولى أمرها للتفاهم فى أمر سلوك « تهانى » الذى أصبح لا يطاق .

توجهت الأم لمقابلة ناظرة المدرسة وهددتها بفصل ابنتها من المدرسة ان لم يحاولوا تقويمها وتعليمها أصول الأخلاق والسلوك الكريم حيث أن سلوكها أصبح غير محتمل .

تألمت الأم ألما شديدا حين سمعت هذا التهديد الذى يمس مستقبل واخلاق ابنتها ، التى كانت حريصة دائما فى أن تكون مثلا أعلى فى كل النواحى بما توجهه اليها من النصح والارشاد والرعاية والملاحظة الدقيقة فى كل تصرفاتها . عادت الأم الى المنزل وهى مشحونة بشحنة كبيرة من الغضب والسخط على ابنتها التى خيبت آمالها فيها ، وعرضت سمعتها للسوء فى المدرسة مما أدى الى خجل الأم أمام الجميع نتيجة هذا السلوك .

دخلت الأم المنزل ووجدت الفتاة على حالها من الكلام بمفردها بألفاظ ليس لها اى معنى وغير مفهومة ، فهجمت عليها بقسوة وأخذت تضربها ضربا مبرحا بيديها وتشد شعرها وتركلها بقدميها وتقذف برأسها بالجدار

مرات متعددة كأنها تريد أن تنتقم منها لما سببته لها من ازعاج . اخذت الفتاة تصرخ وتبكى الى ان فقدت الوعى وسقطت على الأرض مغشيا عليها فاقدة القدرة على النطق والحركة وحتى على البكاء . فى هذه اللحظة فقط انزعجت الأم واضطربت وبدا عليها الذعر والخوف والقلق والاحساس بالذنب ؛ وكأن غشاوة ازيلت من أمام عينيها ؛ وبدأت ترى الأمور بصورة مختلفة ؛ فأخذت تحاول أن تعيد اليها صوابها وتوقظها . وبعد فترة طويلة من هذه المحاولات بدأت الفتاة تتحرك بساعدها والدها لوضعها على السرير حيث استغرقت فى نوم عميق .

وفى فجر اليوم التالى قامت الفتاة تصرخ وتبكى وتستغيث بصوت عال ، وتوجهت نحو الباب تريد الخروج لعدم رغبتها البقاء فى المنزل ، وحاولت فتح الباب الا ان أمها توجهت على الفور نحوها تمنعها وتهدىء من روعها ؛ الا ان الفتاة كانت تبكى بصوت عال وغير متقبلة لأى نوع من التفاهم . أخذ الوالدان يحاولان تهدئتها بكل الوسائل ولكن بدون جدوى . وفى اليوم التالى توجها الى طبيب يجاورهم فى السكن فوصف لها بعض الأدوية ولكن بدون جدوى .

استمر الوالدان يتوجهان بابنتهما من طبيب الى آخر ومع ذلك لم يبد عليها أى علامات التحسن ، وانقطعت عن الذهاب الى المدرسة وفقدت شهيتها للطعام واصبحت فى حالة هزال ملحوظ الى أن اشار عليهما أحد الأطباء بضرورة عرضها على طبيب نفسى لشدة حاجتها الى ذلك ، وفى نفس اليوم توجهت الى عيادتى لفحصها وعلاجها .

بدأت بمقابلة الأم أولا بمفردها ، وكانت تبدو قلقة

مضطربة ، فى نظراتها الخوف وعدم الاستقرار ، ومع ذلك كانت تحاول ان تخفف قلقها بمحاولة البطء في الكلام والهدوء والاتزان المبالغ فيه . بدأت تسرد قصة ابنتها بصوت منخفض هادئ دون انفعال ، وأخفت ذكر قسوتها وضربها المبرح لابنتها ، ربما خجلا من نفسها لمعاملة ابنتها بهذه الطريقة غير الانسانية . وبعد ان سردت القصة كاملة طلبت منى بحرارة أن أساعدها على شفاء ابنتها الوحيدة ولا سيما أنها سمعت عنى الكثير من ناحية قدرتى وخبرتى فى شفاء مثل هذه الحالات .

وبعد أن انتهت الأم من حديثها خرجت من مكتبى ودخلت ابنتها « تهانى » كانت فتاة تبدو أصغر من سنها نحيلة القوام ، غير مهندمة فى ملبسها ، يبدو على وجهها سمات الحزن والكآبة والقلق ، نظراتها وحركاتها تتسم بالتردد الممتزج بقدر واضح من الشك والتوجس ، شديدة الخجل ، عديمة الثقة بالناس وبنفسها .

بدأت بسؤالها عن مشكلتها ، وبعد فترة تردد بدأت تقص على أحداث قصتها كاملة والدموع الغزيرة تنهمر من مقلتيها أثناء سردها الأحداث التى مرت بها . وكان يؤلمها ألما شديدا احساسها بأنها غير قادرة على مواصلة الدراسة وذلك من شدة الصداع الذى فشل الأطباء فى أن يخففوا عليها حدته ، وكذلك كانت تشعر بأن نظرها غير سليم فهى غير قادرة على الرؤية الواضحة ، وهى تبرر ذلك بسبب قسوة أمها فى قذف رأسها بالجدار عدة مرات ، بعدها فقدت الوعى .

كانت تبكى بكاء مرا لأنها كانت فتاة مجتهدة ، من المتفوقات المجدات فى الدراسة ، وأصبحت الآن غير قادرة على الاستمرار فى الدراسة من شدة ما تعانيه من

صـداع وعـدم قـدرة على التركيز وضعف فى البصر واحساس بالاحتناق والضيق ، والأرق ليلا ، واحساسها بأنها فى عالم غير هذا العالم ، وأن هذه الأعراض تزداد فى حدتها منذ ثلاثة شهور ، وقد حار الاطبـاء فى علاجها ، وخابت العقاقير الطبية المختلفة فى تخفيفهـا وبتأثير هذه المتاعب فقدت شهيتها للطعام ، وامتنعت عن الأكل ، فأصابها الهـزال ونحل جسدها فوق نحوله الأصلى .

وبعد انتهاء مقابلتى للفتاة ، بعثت فى نفسها الاطمئنان بأنها سوف تعود الى حالتها الطبيعية بانتظامها فى تعاطى الادوية والمواظبة على الجلسات النفسية .

وضحت للأم العوامل المختلفة التى أدت الى اضطراب « تهانى » نفسيا : من حياة التزمت وسوء المعاملة وعدم تقدير احساس الفتـاة فى سن المراهقة ، وعدم فهم الوالدين والمدرسة لأعراض الاضطراب النفسى الذى كانت تعانى منه ، الأمر الذى ادى الى السخرية منها والسخط عليها والقسوة فى ضربها ، وطلبت من الأم التعاون الكامل فى العلاج وحسن معاملتها وتخفيف حياة التزمت التى فرضتها عليها .

وبعد فترة علاج استمرت شهرين من جلسات نفسية وتوجيه وارشاد للوالدين عن كيفية معاملتها ، أمكن للفتاة أن تتحسن تدريجيا ، ويعود اليهـا اتزانها النفسى ، وانتظامها بالمدرسة ، وعودة ظهور تفوقها على زميلاتهـا بصورة اكثر اسـتقرارا ، لا سيما حين بدأ الوالدان يخففان من القيود التى كانت تحيط بحياتها من قبل .

التعليق :

ان قصة « تهانى » تمثل قصة العديد من الفتيات اللاتى يلجأن الى العلاج النفسى نتيجة حياة التزمت وعدم فهم المحيطين وادراكهم بأعراض الاضطراب النفسى للمبادرة بالعلاج .

ففى مشكلة « تهانى » نتيجة للحياة المتزمتة والقيود القاسية التى فرضت عليها ، والصراعات النفسية التى كانت تعانى منها ، أصابها الاضطراب النفسى وظهر بصورة أعراض نفسية واضطراب فى السلوك ، وخلط فى التفكير والكلام ، الأمر الذى ادى الى سوء معاملتها من المدرسات والناظرة ، والقسوة فى معاملتها من والديها لعدم ادراك الجميع أن هذه الأعراض فى حاجة الى علاج سريع لتجنب المضاعفات المحتمل ظهورها بعد ذلك .

لقد تعرضت الفتاة الى كل انواع السخط والاهانة والضرب ، مما زاد الحالة سوءا ، واصبحت فى حالة نفسية تزداد سوءا ، ولم ينقذها من الضياع الا التجاؤها الى العلاج الطبى النفسى . واذا كان التوفيق قد خان الأطباء الباطنيين فى التشخيص والعلاج ، فهذا أمر طبيعى لأن الخط الفاصل بين الانهيارات الذهنية والانهيارات النفسية فى معظم الحالات يختفى تماما الا عن العين المتخصصة .

وأخيرا فانى انادى من الأعماق واناشد الأهالى والمسئولين بالمدارس بأن يبادروا عند ظهور أعراض السلوك غير السليم أو الاضطراب فى الأفكار والكلام بارسال من يعانون من هذه الأعراض الى العلاج الطبى النفسى بأسرع

ما يمكن ، فهو الطريق الوحيد الذى يمكنهم عن طريقه الوصول بأبنائهم الى الشفاء الكامل فى اقصر وقت ممكن ، ولعدم ضياع مستقبلهم .

فالطب النفسي هو الوسيلة الفعالة التى بواسطتها يستطيع الفرد أن يتخلص من متاعبه ويهنأ بحياة سعيدة هادئة منتجة .

قص شعر أخته لعدم فهم حاجاته النفسية

في يوم من أيام العمل المرهق بالعيادة ، بينما كنت اعد نفسي لمغادرة العيادة والعودة الى المنزل ، دق جرس التليفون فبادرت برفع السماعة ، واذا بصوت امراة فيه شيء من التوتر والعصبية تسأل عن مواعيد العيادة وتحديد اقرب موعد لفحص ابنها البالغ من العمر خمس سنوات، لأنها قلقة ولا تستطيع الانتظار لميعاد بعيد .

وفى الميعاد المحـــدد جاءت السيدة يرافقها ابنها ، وطلبت مقابلتها بمفردها أولا كعادتى فى الفحص الطبى النفسي لأى طفـــل ، كى أعطى الأم الفـــرصة كى تفرغ ما بداخلها من شحنة انفعالية دون قيود .

كانت امرأة فى حوالى الخامسة والثلاثين من عمرها ، انيقة فى مظهرها ، جميلة فى تقاطيعها ، يبدو أنها تعتنى الى حد كبير بالمظاهر ، ومع ذلك كانت تبدو قلقة ، غير مستقرة متوترة داخليا ، يتخلل كلامها بحة فى صوتها من شدة الأنفعال . ثم بادرت تقدم شكواها من ابنها البالغ من العمر خمس سنوات ، اذ أنه يأتى بأفعال وسلوك غير طبيعى من تخريب وتكسير وافساد واتلاف ، واخيرا لجأ الى قص شعر أخته التى تصغره بعام واحد مرتين ، كما كان دائم الـكتابة على جدران حجرات المنزل مما يشوه ويكدر المنزل الذى تبذل كثيرا من الجهد من اجل المحافظة

على مظهره . وكان الطفل دائما ينكر أنه أتى بهذه الافعال ، ولكن بعد الملاينة والتحايل ، كان يعترف . وكانت الأم فى كل مرة يسلك مثل هذا السلوك تضربه ضربا مبرحا ، وتحرمه من الخروج من المنزل يوما أو يومين . وكان يقلع عن سلوكه ، ولكن لا يمر اسبوع واحد الا ويعود ثانية لمثل هذا السلوك بل وأسوأ منه ، وقد وصفته الأم بأنه طفل عصبى متوتر كثير العناد والاعتداء على أخته ، يميل ميلا شديدا الى التخريب .

وبعد أن انتهت الأم من سرد شكواها من الطفل وعدم رضاها عن تصرفاته ، انصرفت من غرفة المكتب ، ثم اقبل الطفل مترددا خائفا ، ويبدو انه اكبر من سنه ، تظهر على ملامح وجهه الذكاء مع الخوف ، أنيقا ، نظيفا ، معتنى بمظهره . جلس معى فترة مترددا خائفا . قدمت نفسى اليه ووعدته بالمساعدة ، كى أبعث فى نفسه الطمأنينة ، محاولة ادماجه والتعامل معه دون خوف أو تردد . وبعد فترة قصيرة بدأ الطفل ينطلق فى الكلام بذكاء يفوق سنه ، ويعبر تعبيرات تبين انه يعانى من سوء معاملة والديه وقسوتهما عليه التى لا تتوقف ، وضربه بشدة ، وتفضيل أخته عليه فى معظم الأحوال ، وحرمانه من ملذات كثيرة وأشياء يفضلها واعطائها لأخته مما أدى الى زيادة كراهيته لها ولهم ، الأمر الذى أدى الى قص شعرها وفى نهاية المقابلة وعدته بمساعدته .

وبدراسة الحالة تبين انه كان الطفل الأول للأسرة ، وكانت الطفلة الثانية هى أخته التى تبلغ الرابعة من العمر ـ كان الوالدان دائما على خلاف لعدم التفاهم والانسجام بينهما من بداية الزواج الذى تم نتيجة لظروف اسرية دون احساس الطرفين بالرضى الكامل عن هذا الزواج ،

الأمر الذى أدى الى استمرار الخـــلافات والمشاحنات بينهما ، والتى تسبب فى زيادة الشحنة الانفعالية لـكل منهما مما يؤدى فى النهاية الى صب غضبهما على الأطفال ولا سيما الطفل (المطلوب علاجه) لـكثرة ما كان يرتكبه من أخطاء فى السلوك أو تخريب أو نوبات غضب شديدة .

يضاف الى ذلك أنهما كانا يفضـــلان الابنة الصغرى لاعتقادهما أنها اهدأ وأجمل واكثر طاعة منه لأوامرهما ، الأمر الذى كان فى النهاية يؤدى الى اغراقها بالهـــدايا واللعب وحرمان أخيها لسوء سلوكه الذى أدى فى النهاية الى ارتكاب أخطاء فى تصرفاته بالنسبة لأخته عن طريق قص شعرها ، وكذلك استمرار اتجاهه الى الـكتابة على جدران حجرات المنزل .

استمر علاج الطفل شهرين عن طريق الأدوية والجلسات النفسية التى كانت تشمل علاج الطفل وعلاج الوالدين نفسيا كل على حدة ، وتوجيههما الى كيفية معاملة الطفل وفهم حاجاته النفسية التى هو فى أشد الحاجة اليها ، وذلك لتجنب السلوك المنحرف الذى يعتبر فى نظرهما غير طبيعى ، وبتغيير أسلوب المعاملة الذى كان الوالدان يستعملانه معه . بدأ الطفل يهدأ نفسيا ويطمئن الى من حوله بتحسن معاملة والديه له ، وبدأ يتمكن تدريجيا من التوقف عن الأعمـــــال غير المرضية التى تسبب غضب الوالدين منه ، وبدأ يحب أخته ولا يحقد عليها بعد أن لجأ الوالدان الى العدل فى معاملتهما .

التعليق :

ان سلوك الطفـل غير المرضى وعدم تـكيفه مع بيئته الأسرية التى يعيش فيهـــا يرجع الى الأسلوب الخاطىء

الذى استخدمه الوالدان معه ، ولا سيما الأم ، فقد تبين انها كانت تؤمن بتربية الطفل بقضيب من حديد ، لذلك فانها كانت فظة وقاسية معه . والواقع ان الأم كانت تعانى الكثير من القلق النفسى والشعور بالنقص ، كانت حريصة بدرجة مبالغ فيها على أن ينشأ أولادها نشأة صالحة ، وكانت تعتقد أن أسلوب الحزم والشدة والقسوة هو الأسلوب الصحيح للتنشئة ، وكذلك كان هذا الحرص على المحافظة على نظام المنزل ومظهره الى درجة مبالغ فيها أيضا .

يضاف الى ذلك ان الطفل نشأ فى أسرة غير متحابة لوجود الخلافات المستمرة بين الوالدين وعدم انسجامهما معا ، والتراشق بالألفاظ النابية دون عمل أى حساب لاحترام مشاعر الأطفال ، الذين يلجأون الى الصراع منذ تعرضهم لهـــذه المواقف غير المرضية والتى تؤدى فى النهاية الى غرس القلق والخوف وعدم الاطمئنان فى نفوس الأطفال .

ومن العوامل التى أدت الى ظهور كراهية الطفل لأخته وحقده عليها احساسه بالغيرة منها لتفضيلها فى مواقف كثيرة ، الأمر الذى كان يؤدى فى معظم الأحوال الى رغبته فى ايذائها وأخيرا اتجاهه الى قص شعرها .

يضاف الى ذلك أن الطفل كان مفتقدا الى وسائل أو لعب تشغله وتساعده على التخريب السليم ، الأمر الذى دفعه الى أن يكتب على جدران المنزل .

العوامل السابقة دفعت الطفـــل الى سلوك التخريب كتعبير غير مباشر عن عدم الرضى عمن حوله وحرمانه من عطف وحب والديه له ولا سيما لقسوتهما فى معاملته لأى

خطأ يرتكبه مهما كان بسيطا وتسامحهما مع أخته مهما اخطأت .

الاطفال والميل للتخريب :

ان الأطفـــال فى صغرهم بل وفى كبرهم يميلون الى التخريب ليس لأنهم مخربون ولكن لأنهم متعطشون لكسب الخبرة ، مدفوعين بحب اســـتطلاع طبيعي يدفعهم الى التخريب وتحسس كل ما حولهم فى البيئة . وان منع الطفل من اشباع هذه الميول الطبيعية وعدم مساعدته بطريقة تحول تخريب ما حوله لا يحقق نضوجه النضج السليم ولا سيما على نمو عقليته .

والطفل الذى يقص شعر أخته والذى يكتب على جدران المنزل فى الواقع يفعل ذلك لافتقاره لوسائل أفضل تشغله وتساعده على التخريب السليم ، بمجرد ان اكتشفت الأم ذلك كان يمكنها بأسلوب كله عطف وحب أن تنبهه وتقدم له مقصا ومجموعة من ورق الجرائد وتعلمه كيف يقص الورق وتغريه بأن يقص الصـور الموجـودة فى الجرائد مثلا .

كما كان يجب أن تقدم له طباشير وسبورة ليكتب عليها ، بدلا من الكتابة على الجدران وتستميله الى أن يحافظ على منزله نظيفا جميلا ، هذا كما كان يجب أن تساعد الطفل دائما على أن يشغل وقتـه اما فى العــاب تسلية تزيد خبراته ، أو فى ناد ليلعب مع أخواته ، أو فى مساعدتها فى الأعمال المنزلية بحيث تستفيد من طاقته الزائدة فى عمل مفيد يساعده على اكتساب الخبرات التى تشبع فيه حب الاستطلاع .

ان العقاب ليس وسيلة لوضع حد للتخريب ، بل قد يكون دافعــــا لزيادة الاتلاف والتخريب ، أن استعمال الأسلوب العلمى فى اشباع حاجات الطفـــــل للمعرفة واستنفاد الطاقة والنشاط الزائد عنده بأسلوب نافع ، هما الطريق لوضع حد للتخريب واكتساب المعرفة .

مص الإصبع .. ظاهرة لاضطراب الطفل نفسيًا

ان الطفل مهما كان صغيرا، يعنيه ان يقرر ذاته ، يتعمد ان يوجه انتباه الآخرين الى قدراته ومهاراته ، فاذا فهم وقدر ممن حوله كان ذلك مصدر اطمئنان له ومبعث هدوء لمن يهتمون بأمره ـ هذا الاطمئنان وذلك الهدوء نستطيع جميعا أن نخلقهما لو أننا أدركنا أن تنشئة الأبناء أمر يحتاج الى الاستعانة بما يجرى فى عالم الطفولة ، بقصد الوقوف على أنواع الشعور لحياة أبنائنا فى جميع الأعمال والتعرف على حاجاتهم وتفهم ما يدق علينا من مظاهر سلوكهم . هذا اللون من الثقافة على ضآلة تكاليفه له أثر بعيد ، فحسبنا أن يعيننا على توجيه ابنائنا ، وتوجيه سلوكهم توجيها مفيدا وترجمة صحيحة توفر معها الهدوء فى أركان بيوتنا .

وفيما يلى قصة طفلة فقدت الاحساس بالاطمئنان والهدوء فلجأت الى سلوك غير مرض كتعبير لما بداخلها من توتر واضطراب وعدم استقرار ، الأمر الذى ادى فى النهاية الى حاجتها الى العلاج الطبى النفسى .

لجأت الى الأم ومعها طفلتها « حنان » البالغة من العمر تسع سنوات بقصد علاجها من مظاهر غير مرضية فى سلوكها . قمت بمقابلة الأم أولا وبمفردها كعادتى فى

الفحص الطبى النفسي ، كي تستطيع الأم ان تفرغ شحنتها الانفعالية دون قيود لوجود ابنتها معها . كانت الأم امرأة في حوالي الاربعين من العمر لها طلعـــة أخاذة ، مربعـــة الوجه ، في عينيها سحر ، وفى نظراتها قلق وحزن وعدم استقرار . أخذت تسرد على مشكلة ابنتها « حنان » حيث انها أصبحت غير مطيعة ، عنيدة ، لا تبالي بشيء لا تحترم احدا ، واهم مظهـــر مرضي كان يزعج الأم ويقلقها هو استمرارها في عض اصبعها ســواء فى المنزل أو في المدرسة ، فأدى ذلك الى احتقارها من جميع أقرانهـا في المدرسة واخوتها في البيت ومعايرتها بهذا الفعـــل بطريقة تسيء اليها وتجرح من احساسها .

ومن حديث الأم ، تبين ان حنان أصغر أخوتها ، كانت محبوبة من مدرساتها بالمدرسة ومنسجمة مع باقى الأطفال الذين فى مثل سنهـا ، وهى فى البيت أيضا كانت لطيفة المعشر مع أخوتها .. ولكن فجأة وبدون مقدمات ، بدأ سلوكها يتغير الى مظاهر غير مرضية وأهمها التجاؤها الى مص الاصبع بصفة مستمرة .

تبين أيضا ان اهتمامات الأم والأب كانت موجهـــة للأخوة الأكبر منها لانهم جميعا فى المدارس فى سنوات تستدعى العناية التامة بهم . فالأخ الأكبر فى الجـامعة والأخ الثانى فى الترتيب كان فى الثانوية العامة ، وكان الأخ الثالث فى الاعدادية . أما الطفلة « حنان » فـكانت لا تزال فى السنة الخامسة الابتدائية فلم تهتم العـائلة بملابسها أو طلباتها قدر عنايتها بأخوتها ، فكانت حنان تعانى من الغيرة الشديدة من أخوتها ومن الحرمان الشديد من عطف وحب والديها ، ومن الشدة التى كانت تعامل بها من والديها . فبدأت تظهر عليهـا اعراض تنبيء بأن

الطفلة تعانى من توتر داخلى يظهر عليها بصور مختلفة ومظاهر غير مرضية فى سلوكها ، كمص الأصبع والميل الى العزلة والخجل والانكماش أحيانا ، والثورة والعناد احيانا اخرى ، وعدم القدرة على المحافظة على حقوقها ، وشدة حساسيتها ، وقد أدى ذلك بالطفلة الى الشعور بعدم القبول وعدم الثقة بالنفس ، وبالتالى كانت تعانى من عدم القدرة على التركيز فى الدراسة ، واهمالها القيام بواجباتها المدرسية ، الأمر الذى كان يؤدى فى النهاية الى عقابها بالضرب أو الحبس أو الحرمان .

كانت الأم تلجأ فى معظم الأحوال الى ضربها بقسوة كى تقلع عن عملية وضع الاصبع فى فمها ، وتخيفها بأن هذه العادة ستشوه شكل أصابعها ، وستشوه فمها وسقف حلقها بهدف دفعها الى الاقلاع عنها ، ولكن دون جدوى . واستفحل الأمر وازداد سرحانها ، وأصبحت فى معظم الأوقات تبدو كأنها بلهاء .

وبعد أن سردت الأم قصتها ، وتبينت الظروف الأسرية التى عاشت فيها حنان ، انصرفت الأم من غرفة مكتبى ، وبعد فترة وجيزة دخلت « حنان » فى خوف وتردد ، كان يبدو عليها الهزال والاعتلال فى صحتها ، ويبدو على وجهها سمة من الألم مع الخجل فى شحوب .

رفضت الكلام فى بادىء الأمر ، ولم تجب على أى أسئلة موجهة اليها ، وتدريجيا بدأت حنان تتكلم وتجيب اجابات مختصرة ، وبعد ذلك استرسلت فى الكلام . كانت تجيب على الأسئلة بذكاء مختلط بقلق وخوف ، كانت تشكو من سوء معاملة أخوتها ووالديها ومدرساتها وأقرانها فى المدرسة ، وكانت تكره الذهاب الى المدرسة لسوء معاملة الجميع لها ولا سيما معلمة الفصل

التى تقسو فى ضربها عنـــدما تخطىء ، أو اذا لم تؤد الواجب الذى يصعب عليها فهمه ولا تجد من يشرحه لها فى المنزل . وأظهرت غيرتها من اهتمام والديها بأخوتها واهمالها اياها كلية . وعدم محاولتهما مساعدتها فى عمل الواجب ، الأمر الذى كان يؤدى فى النهاية آلى عقابها وضربها بشدة .

وقرب نهاية المقـــابلة طلبت منى أن أوصى والدتهـــا بمساعدتها وعدم ضربها فوعدتها بذلك . وقمت فعـــلا بتوجيه الأم ، وتوضيح الأخطاء التى ارتكبتها فى حق ابنتها وأفهمتها أنها فى حاجة الى علاج نفسى مع ضرورة حضور الوالد أيضا فى كل مرة . وقمت بارسال خطاب الى المدرسة كى تتعاون معى فى علاج هـــذه الطفلة مع تشجيعها وعدم ضربها .

وبعد فترة علاج قصيرة ، وتوجيه الوالدين الى كيفية معاملتهـــــا مع مراعاة احاسيسها وتوفير الجو الأسرى الهادىء الذى يبعث فى نفسها الاطمئنان والثقة ، توقفت حنان عن مص أصبعها ، وهدات نفسيا وبدأت تختلط بأقرانها فى المدرسة ، وتقدمت فى الدراسة ، الأمر الذى لفت نظر مدرستها فأخذت تشجعها بدورها ، وكذلك بدأت حنان تهتم بنفسها وبمظهرها ، وتحسنت شهيتها للأكل مما أدى الى تحسن صحتها ، وأخيرا نجاحها بتفوق فى آخر العام .

التعليق :

قصة هذه الطفلة توضع الاضطراب النفسى الذى كانت تعاني منه لحرمانها من حسن المعـــاملة في الأسرة وفي

المدرسة لاهمال أبويها لشئونها وانصرافهما الى الاهتمام بأخوتها ، حيث أن كلا منهما يعتبر أنه أدى واجبه كاملا نحوها بما يوفران لها من أكل وملبس . هذا السلوك من جانب الأبوين فيه تجاهل لشخصية الطفلة ، الأمر الذى سبب لها الألم والشعور بالقلق ، فظهر فى صورة الأعراض المرضية التى سبق ذكرها (منها ظاهرة مص الاصبع) وقد أرادت الطفلة بذلك أن تنبه والديها بأنها شخصية يقظة تفكر ولها حقوق كأخوتها تتعدى موضوعات الأكل والملبس بقدر كبير .

وهنـــا ظاهرة مص الأصبع ليست الا وسيلة سلبية انسحابية تواجه بها الفتاة مشـــاكلها ، وهو عرض من أعراض الاضطراب النفسى الذى كانت تعانى منه . ومص الأصبع فى الشهور الأولى أو السنة الأولى فى الطفولة عملية عادية يلجأ اليها كل الأطفال بمص الطفل أصابع اليد أو الرجل ويحس لذة لقدرته على ذلك . ولكن مص الأصابع قد يستمر الى سن متقدمة كالعاشرة وأحيانا الثانية عشرة ، أو الخامسة عشرة ، ومص الأصبع فى هذا السن ما هو الا عرض من أعراض الاضـــــطراب النفسى .. يصاحبه أحيانا الاغراق فى أحلام اليقظة ، والسرحان ، والاكتئاب . كما يزداد هذا العرض عنـد مواجهة المشاكل وعند الفشل فى الدراسة . ولا يجدى عادة تحذير الأباء للطفــل وتنبيهه له بالاقــلاع عن هذه العادة .

ولذا ينبغى علاج مص الأصابع فى أية حالة مع علاج الحالة النفسية والأسرية التى يعيش فيها الطفل عامة ، وخصوصا علاقة الطفـــل بوالديه وأخوته ومدرسيه . وذلك يهدف الى محـــاولة اشباع الحاجات النفسية

الاساسية للطفل : كالشـــــعور بانه محبوب والشعور بالتقدير والاحساس بالانتماء . هذا كما يمكن أن نشغل الطفل بنشاط يدوى يحـــول بينه وبين وضع يديه فى فمه ، ويشده بلذة الانتاج والهواية .

أما استعمال العقاب والتوبيخ كعلاج لمص الأصابع فانه يعقد الحالة ويزيد من اضطراب الطفـــل نفسيا ، وقد لا يؤدى الى الاقلاع عن هذه العادة .

الطلاق .. صخرة يتحطم عليها الاستقرار النفسي للأبناء

ان الاضطرابات النفسية للأطفال ، والانحراف فى سلوك بعضهم وقيامهم بأفعال لا ترضى المحيطين ، ثم فشلهم فى النهاية فى الدراسة . بالتحليل النفسى لأولئك الأبناء تكشفت العقد التى أوجدتها التربية المنزلية الخاطئة ، وأدت بعد تضخمها فى العقل الباطن الى الانفجار فى صورة تتعارض تماما مع ما جبلت عليه الطفولة من براءة وطيبة . فالخطأ دائما من الكبار ، وفى غالبية الأحيان ان لم يكن فى كلها ، يقع الخطأ بحسن نية دون أدنى رغبة فى تدمير الأبناء ، نتيجة للجهل بأصول التربية الملائمة لنفسية الأبناء والكفيلة بمنحهم الشخصية المتكاملة القديرة على منحهم الحماية من الانزلاق الى مهاوى الانحراف ، الذى يدفعهم فى بعض الأحيان الى سلوك غير مرض ، نتيجة لانفجار العقد المختزنة منذ طفولتهم فى عقلهم الباطن .

وفيما يلى قصة فتاة انحرف سلوكها وفشلت فى دراستها نتيجة الحياة الأسرية غير المستقرة ، وجهل الوالدين بأصول التنشئة النفسية لأبنائهم .

فى يوم من أيام الربيع وقرب حلول موعد الامتحانات ، جاء الوالد ترافقه ابنته ، يطلب مشورتى فى مشكلة ابنته

التى تكرر رسوبها فى الثانوية العامة مرات ، يضاف الى ذلك ما ترتكبه من افعـــال غير مرضية من الهياج ، والعناد ، وضرب أخوتها بعنف وبقسوة ، والتصميم على تنفيذ رغباتها مهمـــا كانت خاطئة ، الى غير ذلك من انحراف فى سلوكها ، الأمر الذى دفعه الى الالتجـــاء للعلاج الطبى النفسى .

وبعد مقابلة من الوالد والابنة « صفاء » على انفراد ، تبين ما يلى :

نشأت صفاء فى حياة اسرية غير موفقة، كثيرة الخلافات والحقد بين الزوجين ، عاشت طفولة سيئة مبعثرة ، خلت من كل حنان أو استقرار ، كانت الثمرة الثالثة لزواج تم دون انسجام او توافق بين والديها . والد قاس، مسيطر، غير متفاهم ، عنيد ، كلمته هى النافذة على الجميع دون نقاش لاعتقاده أن له من التفكير السليم والعقـل الراجح اللذين يؤهلانه للتصرف السليم فى كل أموره .

أما الأم فكانت امراة غير متعلمة ، سيئة التصرف ، لا تستطيع ان تدبر الأمور بحكمة ، عصبية ، عنيدة ، دائمة الشجار مع من فى البيت (الزوج والبنات الثلاث). ضاقت الحياة بالزوج ، ولم يستطع الاستمرار فى هذا الجو الأسرى غير المريح ، الذى يبعث الضيق فى نفسه وفى نفس بناته الثلاث ، فاضطر الى الزواج من فتاة أخرى تعرف عليها فى عمله بعد طلاق الزوجة الأولى .

اخذت الأم صفاء واخوتها بعد طلاقها الى بيت أبيها . كان جد صفاء مسنا فظا قاسيا كان لا يلقاها وهى صغيرة الا نهرها ، وصب عليها غضبه لأنها كانت فى الرابعة من العمر وأصغر اخواتها واكثرهن حركة ونشاطا ، الأمر الذى كان يؤدى فى معظم الأحوال الى ضربها ضربا مبرحا

وعقابها بأقصى أنواع العقاب كى تقلع عن الحركة واللعب .

كانت الأم تضطر أن تتحمل كل هـذه الأوضاع دون تعليق لظروفها التى تعانى منها خوفا من أن يغضب عليها والدها ولا تجد مأوى آخر ، وأحيانا كانت الأم تصب غضبها وضيقها على بناتها من سوء معـاملة وقسوة ، فيزداد ألمهم النفسى وانحرافهم السلوكى .

وهكذا عاشت صفاء فى مناخ غير صحى من الناحية النفسية وعانت الكثير من الحياة المؤلمة غير المستقرة الى ان انتهت فترة حضانتها مع أمها ، وضمها الأب الى حضانته عندما بلغت السن القانونية لذلك . وكان قد سبق وضم اخوتها اليه فى الوقت المناسب .

خرجت صفاء من منزل جدها الى زوجة والدها التى استقبلتها بنظرات باردة ، حذرة ، شرسة ، وطلبت منها أن تكون مطيعة حسنة السلوك كأخواتها والا ستضطر الى طردها وعودتها الى جدها . صـدمت من هذا التهديد البعيد عن كل حب وحنان والذى يبشر بعقوبات لاستمرار العذاب والألم ، بحثت عن والدها فلم تجده فى بيته كان ضئيلا جدا أمام زوجته الثانية .

كانت دائما تشكو له من تصرفات صفاء غير المرضية والفاظها غير الكريمة ، فينهال عليها ضربا بقسوة دون رحمة كى يرضى زوجته التى تقوم برعاية بناته الثلاث ، اذ كانت تهدده دائما بترك البيت ان لم يعاقب بناته أشد العقاب عند مخالفتهن أوامرها .

عاشت صفاء فى هذا الجو القاتم ، وخنقت كل بقايا المرح عندها ، لتنمو فى أرض واقعها مشاعر الحزن ولكنه كان حزنا بلا صبر ، تلوك مرارة أكبر من عمرها ، تشعر

انها مكروهة ، مطرودة ، وتتساءل لماذا جاءت الى عالم ليس فيه من يريدها .

استمرت على هذه الحيـاة الى أن وصلت الى الثالثة الثانوية ، وهنا بدات كوامن الاضطرابات الداخلية تطفو وتظهر فوق السطح فى صورة فشل فى الدراسة ، ونوبات هياج ، وبكاء . أحبت الموت وعشقته كأمل وحيد لخلاصها من هذا العـــذاب ، وشيئا فشيئا أصبحت مشغولة به ، تسأل عن كنهه وعن سره ، والطـرق السهلة التى تؤدى اليه ، ثم حاولت الانتحـــــار مرات ولـكنها فشلت فى تحقيقه .

واخيرا لجأ الأب بعد تكرار هذه الأحداث الى استجابة طلب صفاء وسمح لها بقضاء بضعة أيام بين آن وآخر عند خالتها التى رحبت بذلك ، وخالتها سيدة فى الخمسين من عمرها ، محرومة من الأطفال ، يقضى زوجها النهـار بأكمله فى عمله ، فوجدت فى صفاء من يؤنس وحدتها ويملأ عليها حياتها .

كانت صفاء لاضطرابها النفسى وتوترها الداخلى لا تجد الراحة أيضا طرف خالتها لأنها بالتعامل معها وجدتهــا سيدة قلقة ، عصبية ، متوترة ، شديدة الحرص على حفظ نظام البيت ، وكثيرا ما كانت توجه صـــفاء الى بعض النصائح بشىء من الحـــزم المختلط بالحنان ، فكانت صفاء غير راضية ، ثائرة ، حاقدة ، غاضبة أحيانا معها فيؤدى ذلك الى ضيق خالتها بها ، فتعود الى منزل أبيها وتعانى من زوجته وسوء معاملتها لهـــا وتكرار الثورات والتحديات الأمر الذى ادى فى النهاية الى فشلها فى دراستها والتجاء والدها الى العلاج الطبى النفسى .

كانت الفتاة منتظمة فى حضور الجلسات النفسـية ،

وكان والدها حريصا على التزامها بذلك رغبة منه في علاجها كي تهدأ الأوضاع في البيت وتتوقف المشاكل المستمرة ، ولكي يطمئن على مستقبلها في الدراسة .

وفي احدى الجلسات ، وبعد أن اطمأنت الى طلبت مشورتي في رغبتها في الزواج من رجل في سن والدها متزوج وله أربعة أطفال ، صديق للأسرة ، ويتردد عليهم ، فأراد أن ينقذها مما تعاني منه من عذاب حيث كان على علم بما يحدث دائما بينها وبين زوجة والدها ، قبلت عرضه للتخلص من النار التي تحرقها في هذا المناخ الذي تشوبه المشاحنات الدائمة . قبلت هذا العرض داخليا دون أن تعطيه جوابا وطلبت مني المشورة في هذه الناحية ، علما بأن أخلاقه من العصبية والحدة لأتفه الأسباب كوالدها تماما في هذه الناحية ، وهو غير موفق في زواجه الحالي وسوف يتزوجها ويعيش في احدى الدول العربية التي يعمل بها حاليا ويحضر الى مصر في الأجازات فقط ليرى زوجته أولاده .

وبتقدم علاجها النفسي ، بدأت تهدأ وتستقر نفسيا وأخذ تفكيرها يكون أكثر حكمة واتزانا ، أدركت أن هذا الزواج غير صالح لاعتبارات متعددة منها فرق السن ، ووجود أولاده وزوجة أخرى في حياته ، يضاف الى ذلك شدة عصبيته وسهولة اثارته ، وكلها عوامل سوف تعوق استقرار وهدوء حياتها مستقبلا .

وأخيرا اقتنعت بضرورة الاستمرار في الدراسة والعمل المنتج الذي سوف يؤهلها للنجاح ودخول الجامعة حيث تكون أمامها الفرص التي سوف تسمح لها بالتعرف على آخرين ، ربما تجد بينهم من يصلح زوجا ، فتبني حياتها على أساس من التوافق الفكري والنفسي

والاجتماعى ، فتهنأ بحياتها هادئة مستقرة بعيدة عما ينغصها .

واقتنعت كذلك بأن عليها أن تتحمل الحياة مع خالتها وزوجة ابيها وتتعامل مع الجميع بالمحبة والود كي تتمكن من النجاح فى حياتها الدراسية التى عليها سوف تبنى مستقبلها .

واخيرا استقرت نفسيا وهدأ جو الأسرة من المشاحنات ، مع استمرار توجيهى للوالد ولزوجة أبيها وكذلك لخالتها الذين كانوا يحضرون معها في بعض الأحيان كل منهم بدوره حسب طلبى أثناء العلاج .

تقدمت لامتحان الثانوية العامة ، وكان التوفيق بجانبها حيث أنها حصلت على مجموع عال يؤهلها الى دخول احدى كليات الجامعة ، فأعاد ذلك النجاح الثقة الى نفسها وبدات تحس بوجودها كانسان يستطيع أن يعيش وأن يكافح وأن ينجح .

التعليق :

هذه قصة فتاة قاست حياة صعبة ناتجة عن عدم انسجام الوالدين الذى كانت نهايته الطلاق ، وكانت النتيجة لذلك أن اضطربت نفسيا وأصابها الانهيار الى الدرجة التى كانت تفضل فيها الموت لعدم قدرتها على الاحساس بوجودها أو بوجود من يحس بها .

ومع العلاج عادت اليها الحياة وأشرقت بنورها على نفسيتها ، ونجحت فى تحقيق أهدافها ، اما العوامل التى أدت الى انهيارها نفسيا فهى :

١ ــ حيــاة أسرية غير مستقرة فى طفــولتها ، انتهت بالطلاق .

٢ ــ القسوة فى معاملتها من جميع من عاشت معهم : والدها ، والدتها ، جدها ، زوجة أبيها وكذلك خالتها ، دون أى محاولة منهم لفهمها ومساعدتها .

٣ ــ قسوة الأب وعدم محاولته فهمها ومساعدتها .

فعلى الآباء ان يتمهلوا ويصبروا ويحاولوا خلق جو أسرى هادىء لأبنائهم مع ضرورة التمهل والتدقيق وحسن الاختيـــار قبل الزواج والتأكد من التوافق الذهنى والنفسى والاجتماعى ، كى لا تفشل الحيــاة الزوجية وتنتهى « بالطلاق » الذى يعتبر الصدمة الكبرى التى يعانى منها الأطفال وتصبح حياتهم سلسلة من المتاعب النفسية التى تنتهى الى المرض النفسى أو العقــلى أو الانحراف فى السلوك أو التشرد فان لم يعالجوا نفسيا ويوجهوا توجيها سليما تكون نهايتهم دخول المصحات العقلية أو السجون أو مؤسسات الأحداث .

وأخيرا فلنفهم أطفالنا ونساعدهم ، ونقدر مشاعرهم ، ونوجههم فى رفق ونساعدهم على عبور نهر الحياة فى أمان واطمئنان حتى ينجحوا ويوفقوا فى حياتهم فنسعد بهم ويفخر الوطن بأعمالهم .

هل عناد الطفل.. ظاهرة مرضية ؟

من الأهداف الأولية للتنشئة النفسية للطفل اعداد الفرد بحيث تتوافر له الشجاعة على مواجهة الواقع ، ثم القدرة على حل ما يعرض له من مشكلات بدلا من التهرب منها ، متنبها الى أن التفاهم هو وسيلة التعامل مع الغير ، ومدركا أن الشعور بالحياة هو فى الكفاح المتصل حتى ينجح .

والطريق الذى ينتهى بالفرد الى الهناءة والاستقرار النفسى ، وحرية التفكير والاستقلال فى التنفيذ ، الطريق الذى ينتهى بالفرد الى اكتساب هذه القيم الرفيعة من السلوك ، لا يمكن أن يكون بالارهاب ، لأن الارهاب والعنف والقسوة يشل التفكير ويعطل التعبير ، ويقيد النشاط ، ويولد الضغط ثم الانفجار أو الانهيار . وكل هذه الأمور مجتمعة تهدد هناءة الفرد ، لأنها تفسد عليه هدوءه النفسى ، وتعبث بصحة عقله ، فوق ما تسبب من تأخر فى وجوه نشاطه الجسمى والذهنى معا . اذن فالارهاب لا يمكن ـ بأى حال ـ أن يساهم فى تعبيد الطريق الذى ينتهى بالفرد الى التفكير الحر ، والسلوك المستقل ، والقدرة على التكيف مع مقتضيات الحياة

الاجتماعية أو التغلب على ما قد يتحداه من أزمات ، وهذه أمور لازمة للحياة المتطلعة المستقرة .

انما هنـــاك عوامل أخرى أكثر انسجاما مع النفس البشرية هى التى تستطيع أن تساهم فى تعبيد الطريق ، فمثلا توفير الشعور بالطمأنينة ، والثقة بالنفس من الزم الاشياء التى يؤمن بها الفــرد سـعادته ونجـاحه فى المستقبل . وهذا التوفير للشـعور بالطمـأنينة والثقة بالنفس هو شعور داخلى يساهم فى بناء شخصية الفرد منذ اليوم الأول من ولادته ، ويطرد نمو هــذا الشعور الداخلى ـ الذى لا غناء عنه ـ خـــلال مرحلة الطفولة المبكرة ، ومن هنا كان الاهتمام بتعيين الحاجات النفسية للطفولة ومبلغ العناية بتوفيرها للطفل فى الفترة المبكرة من حياته، يعتبر كلاهما عملا فيه تدعيم لبناء الشخصية، أبعد ما يكون عن التدليل .

كانت طفلة جميلة فى السادسة من العمر فى منتهى الصحة والنشاط والمرح ، وحيـــدة ، وسيمة للغاية ، مدللة ، يحيطها الكبار بحبهم ويكثرون من اطرائها ، تقضى معظم وقتها مع الكبار ولا تختلط بأطفال فى سنها الا نادرا ، اذ كان والداها يسكنان منزلا مستقلا ، قليلا التزاور مع الأقارب ولا يزوران الجيران الآن الأب والأم كلاهمــــا يعمل وليس لديهمـا وقت للزيارات الاجتماعية .

الأم تتصف بأنها شديدة الحزم مع ابنتها ، وعودتها منذ طفولتها ان تطيع الاوامر دون اية مناقشة ، ممنوعة تماما من الضحك بصوت عال والافراط فى المرح والجرى

بحجة أنه سلوك غير حميد ، وكانت محرومة من ممارسة الأنشطة الاجتماعية المدرسية التى تجرى عادة فى نطاق المدرسة وخارجها ، مثل الرحلات والحفلات ، فكانت زميلاتهـــا يستمتعن بوقتهن ، أما هى فكانت تعانى من الحرمان من هـــذا النوع من الاستمتاع حسب رغبـة أمها .

وتدريجيا بدأت الطفلة تظهر عنادها ، بل وصلت بهـا الدرجة الى أن ترفض المطالب التى تطلبها منها أمها ، وقد لجأت الأم فى بادىء الأمر الى عقاب ابنتها ، ولكن بمرور الوقت أصبحت الابنة لا تهتم بأية مطالب ولا تبالى بأى توبيخ ، وترفض باصرار اجابة طلبـات الأم ، مما أزعج الأم لدرجة كبيرة . وأخيرا لجأت للمشورة الطبية النفسية للعلاج ، خوفا من تمادى هذه الظـــاهرة واستفحالها مما يؤدى فى النهاية الى انحراف سلوكها وعدم القدرة على التحكم لوقف هذا السلوك المنحرف .

ومن أمثلة عناد الطفلة ، ان العناد وصل الى رفض الطعام ، ففى كل صباح كانت تتناول قبل افطارها كوبا من اللبن بالكاكاو ، وكانت معتادة الا تترك مقعدها على مائدة الطعام الا اذا انتهت من افطارها ، وفجأة امتنعت عن تناول اللبن ، وكانت تجلس حوالى الساعة على المائدة تنظر الى اللبن والكاكاو وترفض تنفيذ أوامر الأم بشدة، دون ابداء أى سبب . واضطرت الأم فى آخر الأمر الى منعها من ارتداء ملابسها والخروج فى نزهة ، اذ كان الوقت فى أثناء الأجازة الصيفية وأمرت الفتاة بالذهاب الى سريرها لتنام . وفعلا ذهبت الفتاة لسريرها وهى

تبكى ، ثم بدأت بعد ذلك بالغناء وهى فى السرير بصوت عال ، وبعد فترة من الصراع والشجار مع الأم ، رضخت الفتاة لشرب اللبن والكاكاو ، فذهبت الأم ووضعته مرة ثانية على النار ليصبح دافئا ، وقدمته للفتاة ، فبدأت تشربه وهى فى السرير ، ثم سكبت بعضه على الفراش والأغطية ، ثم قالت للأم « أنا عملت كده عن قصد » ، فنهرتها الأم ، وصممت على أن تشرب باقى الكوب وأن تقوم بتنظيف البقع التى سببها سكبها للبن والكاكاو على أغطية الفراش ، وصممت الأم على ذلك ، وضاع جزء كبير من الصباح بين عناد الطفلة وتصميم الأم ، مما أفقد الأم صبرها وعطلها عن عملها .

وموضوع اللبن والكاكاو ما هو الا مثل من أمثلة كثيرة تتكرر طول النهار فى مناسبات مختلفة .

التعليق :

ان هذه الطفلة تتحدى البيئة المحيطة بها ، والأطفال جميعا يمرون بفترة من عمرهم يميلون فيها الى اثبات الذات ، واحدى وسائل اثبات الذات عندهم العناد وتحدي البيئة ، ويمكن أن تقرر أن الطفل الذى لا يمر بفترة يثبت فيها شخصيته طفل غير سوى .

والعناد خصوصا غير المبالغ فيه مرحلة من مراحل النمو النفسي للطفل ، يساعد الطفل على الاستقرار واكتشافه لنفسه وانه شخص له ذات مستقلة عن الكبار . وهذا الاكتشاف يكسبه صفات الفردية والشجاعة والاستقلال ، وبمرور الوقت يكتشف الطفل ان العناد والتحدى ليسا هما الطريق السوى لتحقيق مطالبه وللأخذ والعطاء مع الكبار بما يحق له الرضا عن ذاته ورضا الكبار عنه ، فيتعلم العادات الاجتماعية السوية فى الأخذ والعطاء ، ويكتشف أن التعاون والتفاهم يفتحان له آفاقا جديدة فى اللذة والخبرات والمهارات الجديدة ، خصوصا لو كان الأبوان يعاملان الطفل بشيء من المرونة ويؤمنا بالتفاهم مع الحزم المقرون بالعطف .

والطفل ينتقل عادة من مرحلة العناد والتحدى الى مرحلة الاستقلال النفسي فى الفترة من الرابعـــــة الى السادسة من عمره . وكلما كان الأبوان على درجة معقولة من الصبر والتعاون والفهم لنفسية الطفل ، ساعدا الطفل على اجتياز هـذه المرحلة . والعـكس بالعـكس فالأبوان اللذان يبالغان فى الحزم والآمر والنهى والارهاب قد يثبتان فى الطفل أسلوب العنـــــاد والتحدى لاثبات ذاته ، فيعوقه ذلك على التقدم واكتشاف الطرق السوية لاثبات الذات ، والتخلى عن الأساليب الطفلية للشعور بالسيطرة والشخصية والاستقلال الذاتى ، لذلك فان البيئة لها أكبر الأثر على شخصية الطفل ودرجة نمائه .

وفى الحالة التى عرضتها ، نجد أن الام فى منتهى الحزم وتتعامل مع الطفـــــلة بأسلوب صارم كله أوامر وتهديد ، ناسية أن الطفلة وأى طفل يعتبر أسلوب سلوك الوالدين مثالا لما يجب ان يكون عليه سلوكه ، ومن ثم فلا غرابة عندما يقلد طفل أباه أو أمه أو اى واحد من افراد البيئة التى حوله فى سـلوكه . فالـكبار قدوة للأطفال فى أسلوب تعاملهم مع الموقف . ان الطفلة لجأت الى العناد والتصميم والعزم ، تماما كالأم التى تتبع التصميم والعزم فى سلوكها مع الطفلة . وقد وصلت الطفلة من الاقتناع بهذا الأسلوب فى السلوك ـ أسلوب الأم ـ لدرجة من العناد يجعلها تتقبل أى نوع من العقاب فى سبيل تنفيذ ما فى ذهنها لاثبات وجودها ، وللدفاع عن هذا الوجود ، فكيف يمكننا أن نتوقع من طفلة الطاعة، وكل حركاتها وسكناتها تتحكم فيها الأم بالامر .

ان شهية الطفل احيانا لا تقبل ما اعتاد عليه كل صباح كشرب اللبن ، فلماذا لا تكون الأم مرنة من وقت لآخر ، ولماذا يكون اسلوب تعاملها معتمدا على تحقيق تعاون الطفل ، وعلى مساعدته على اثبات ذاته بالاستجابة لبعض طلباته ما دامت فى متناول اليد ومعقـولة . ان ارغام الطفل على الطاعة ليس الطريق الوحيد لحل مشاكلنا مع الأطفال . ان المرونة والأخذ والعطاء مع الأطفال فى جو من الدفء يحول بين الأطفال وبين العناد المرضى . اما العناد الخفيف فيجب أن نغض النظر عنه ونستجيب فيه لرغبات الطفل ما دام لا يضر .

واخيرا فعلى الأم أن تكسب طفلهـا الى جانبهـا عن طريق التقدير والتفاهم ، وعليها ان تتجنب استخدام أسلوب التهديد والتحدى والا فهى الخاسرة ان فعلت ، فضلا عن ان ذلك يؤثر فى العلاقة التى بينها وبينه ، تلك العلاقة التى يجب أن تقوم دائمـا على أساس من الاحترام والنظام المتبادلين حتى لا يكون هناك عناد أو تحد أو احتجاج من جانب الطفـل ، وحتى يعتبر والديه دائما مصدر هناءته وراحته فيركن اليهما ، وينتفع من توجيهاتهما وخبراتهما ويقبل عليها برضى .

"الخبرة الشخصية للطفل"

الطفل الطبيعي يتفجر نشاطا وحساسية وخيالا وتلهفا على اختيار ما يجذب نظره أو ينبه عنده حاسة أخرى من حواسه ، ولذلك يشعر برغبة لا نقاوم فى أن يتحرك ويتلمس بيده ، كما يشعر برغبة لا تحد فى التعبير عما يحسه بتخيله ، وفى اثبات وجوده وأهميته لمن حوله .

صادفتنى سيدة متوسطة الحال ، يبدو عليها التعب ولا أغالى اذا قلت الانهاك ، تعبر نظراتها عن قلق ، وتنهداتها عن شعور بالضيق وعدم الرضى . وتتلخص قصة هذه السيدة فى أنها مضطرة الى الاقامة مع ذويها ، بسبب ارتفاع أجور المساكن . وابنها – الذى يبلغ سن المدرسة بعد ، أصبح وجوده مرهقا لأفراد الأسرة ، اذ أن الشكوى منه لا تكاد تنقطع ، والخسائر بسببه تكاد لا تعرف حدا تقف عنده ، فهو تارة يعبث بممتلكات غيره ، وتارة أخرى يصب زجاجة الحبر على بعض الأشياء ذات القيمة فيفسدها ، هذا الى جانب العناد المستمر ، وعدم الرغبة فى التعاون مما يحمل الأم على أن تشتد فى معاملته ، ولكن دون جدوى .

وفى بعض الأحيان يلجأ الى غرف المنزل ويقوم ببعثرة محتوياتها فى جميع أنحـــاء الغرفة ، ويـكسر بعض الزجاجات أو العلب ، ويقلب البعض الآخـر فيـلوث ملابسه والأرض بمحتوياتها ، الأمر الذى يدعو الأم فى آخر الأمر الى عقابه وضربه عند رؤيتهـــا هذه المناظر العابثة التى تدعوها الى الثورة عليه ، طالبة اليه الا يعود الى مثل هذا العمل مرة أخرى والا فالويل له كل الويل ، ولكن دون جدوى .

وشعرت هذه السيدة ازاء ذلك بحرج كبير الى درجة اضطرت ذات يوم أن تلجأ الى لتأخذ مشورتى فى هـذه الناحية ، حيث أنها أصبحت فى حالة نفسية مضطربة ولا تعلم كيفية التصرف لحرجها من سوء سلوك ابنها ، حتى أنها صممت على أن تبحث عن ســكن مستقل ، ولو كان ذلك فى حى يقل عن الحى الذى نشأت فيه ، وبايجار فيه شىء من الارهاق لميزانيتها ، وذلك شفقة منها على ابنها وحرصها على علاقته بذويها .

والواقع ـ ان هذا الحل الذى اختارته السيدة وهو الانتقال بابنها الى مسكن آخر مستقل ، لا يحل المشكلة الا حـلا جزئيا وشـكليا فقط جزئيا لأنه سيعفيهـا من الحرج الذى تشعر به كلما تسبب الطفـــل فى ازعاج ذويها أو افساد أشياء لها قيمتها ، وحلا شكليا ، لأن انتقال الأم بطفلها الى مسكن آخر مستقل لن يغير من سلوكه ، فالسلوك الذى كان فى البيت الـكبير مصدرا للشكوى سيظل كذلك فى المسكن المستقل ، مصدرا لنفس الشكوى الأولى ، الأمر الذى يحمل الأم على أن

تكون أكثر شدة ، دون جدوى ، فكلما زادت هى شدة زاد هو عنفا ، لأن الأم هنا تعالج الصورة الظاهرة لسلوك الطفـــــل لا السبب أو الدافع الذى يحمله على هذا السلوك . بالضبط كمن يأخذ مسكنا لتخفيف الصداع دون الانتباه الى تبين السبب الذى يؤدى اليه . ذلك لأن الطفل الطبيعى يتفجر نشاطا وحساسية ، خيالا وتلهفا على اختيار ما يجذب نظره أو ينبه عنده حاسة اخرى من حواسه . فالطفل فى هذه السن يشعر برغبة ـ تكاد لا تقاوم فى أن يتحرك ويلمس بيده ويعمل بنفسه ـ يشعر برغبة قوية لا يمكن أن يحد منها للتعبير عمـا يحسه ويتخيله ولمحاكاة ما يسمعه وما يراه فى البيئة التى يقيم فيها . يشعر أيضا برغبة ملحة فى أن يثبت وجوده وأهميته لمن حوله . فاذا كانت هذه هى طبيعة الطفولة فى تلك السن ، فلا يحل المشكلة أن تزيد الأم ، شدة أو تنتقل الى مسكن آخر مستقل .

فالأم التى تفكر بهذه الطريقة لحل هذا الموقف ، تخطىء فى حق طفلها أكبر الخطأ ، وهى تدل بفعلتها هذه على جهل بطبيعة الدوافع التى تحرك الطفل فى سن الثالثة أو الرابعة من عمره ـ فالطفل فى هذه السن يكون كثير الحركة ، دائب والنشاط متعطشا للتعرف على كل شىء، فهو يمضى متنقلا من ركن الى آخر ومن حجرة الى أخرى وفقا لما يجذبه ويستهويه ، يمسك ويفحص كل ما يلقاه فى طريقه وقد يسقط منه فيحدث سقوطه دويا مزعجا ، فضلا عما فيه من الخسارة والتلف ، دون أن يخطر بباله

قط ان مثل هذا العمل مما يزعجه أو يضايقه لاستغراقه في التعرف على كل ما يصادفه .

والأم الحكيمة المستنيرة هي التي تقدر دوافع ابنها على حقيقتها ، فتعرف انه انما يتأثر – في هذه السن – بعوامل طبيعية ملحة ، تضطره الى هذا السلوك اضطرارا وتدفعه دفعا لا يقاوم ، فان نشاطه الجسمي يدفعه الى الحركة والتنقل ، ونشاطه العقلي يحفزه الى السؤال ومحاولة معرفة كل شيء عن طريق اللمس والفحص ، فهذه هي طريقته الخاصة للتعرف على مكونات البيئة التي يعيش فيها ، يتنقل من هنا الى هنا ، باحثا منقبا ، لا يكاد يدع شيئا دون أن يلمسه أو يسأل عنه ، يريد أن يعرف ويعرف ويعرف ، فاذا لم يجد السبيل أمامه سهلا الى اشباع رغبته في المعرفة ، أضطر الى ارضاء هذا الدافع الى حب المعرفة المتيقظة في نفسه ، وفقا لطريقته الخاصة ، فتكون هذه النتيجة التي تعكر عليه وعلى والدته الهدوء والصفاء ، فضلا عن الخسائر المتتالية .

ركن الطفل :

الأم الحكيمة وهى أمام طفلها تدرك أنها أمام انسان له دنياه الخاصة وعالمه الذى يحيا فيه ، فتعمل على أن تهيىء له فى الأعمار المختلفة الجو الذى يشبع نزعاته وينظم نشاطه ويزيد من عمليات التفتح واليقظة عنده . ولعل خير ما تفعله هو أن تعد له ركنا خاصا ، اذا لم يكن غرفة خاصة به ، وبعض الخامات الطبيعية كالماء والصلصال والمستهلكات البسيطة كالعلب الفارغة وبعض اللعب المناسبة التى لا تقبل الكسر مثل اللعب المحشوة أو اللعب القابلة للحمل والتركيب أو البناء ، أو اللعب المصنوعة من المطاط ، وتتركه فيها حرا طليقا يفكر ويختبر ويلهو فى مرح وطمأنينة وسوف ترى بعد قليل فرقا كبيرا فى حالته النفسية ، وكذا فى حالتها هى أيضا ، دون أن تقطع عليها تلك المنغصات الصغيرة هدوؤها ، بين الحين والحين ، كما أن الطفل سينصرف الى لعبه قانعا راضيا ، وسيستغرقه اللهو بها فلا يفكر فى أن يعبث بأى شيء آخر ، وذلك دون أمر أو نهى من جانب الأم .

الام وأسئلة الطفل :

دور الأم لا ينتهى بتوفير ركن للطفل يلعب فيه ويمارس فيه حب الاستطلاع والمعرفة واشباع رغبته فى ذلك ، بل ان مهمتها تظل بعيدة عن الكمال اذا لم تروض نفسها على الصبر ، فتضحى بالوقت والجهد لتجيب على الأسئلة التى يوجهها اليها طفلها ، وقد يعينها على ذلك تقديرها لحقوق الطفل له وفهمها لدوافع السلوك فتجيب على اسئلته راغبة راضية ، فى أسلوب يشبع شغف الطفل ويخفف من قلقه فى حالة التشكك . وبذا يأنس الطفل الى امه ، وتزيد الرابطة التى تجمعهما عمقا ومتانة .

ومن واجب الأم أن تحرص على تنمية هذه الرابطة فتغذيها بالثقة كلما استطاعت الى ذلك سبيلا ، فليست الأم الموفقة هى التى يطيعها طفلها طاعة عمياء ، وانما هى التى يستجيب طفلها اليها راضيا لما وضعت فى نفسه من روح الثقة به والاطمئنان اليها ، وليس أجمل من علاقة الأم بأبنائها من هذه الثقة التى توحى على الدوام باحترامها ، وتعينهم على الاستنارة بتوجيهاتها والاستفادة من تجاربها .

ان رسالة الأم فى بيتها رسالة دقيقة متشعبة النواحى ثقيلة التبعات . ولكن الأم الحكيمة تعرف أن تدقيقها فى اداء هذه الرسالة هو فى ذاته خير جزاء على ما تبذل من جهد وتضحية ، وحسبها فى هذا أن تشعر على الدوام انها خلقت بيتا فيه هدوء وطمانينة .

كيف نوفر الصحة النفسية لأبنائنا؟

ان الطفل الذى كان يعيش فى المجتمع القديم المحدود الهادىء المستقر نسبيا بطبيعة الحال ، كان عادة يجد فرصة مواتية وميسرة لتلبية حاجاته النفسية فى حب وقبول وأمن وطمأنينة ، كما أن عوامل الحياة نفسها وفى مقدمتها تفرغ الأم لتربية أطفالها كانت تساعد الوالدين على أن يعيشوا فى رضى وهدوء وأقرب الى أبنائهم والى الشعور بحاجاتهم ، وادراك هذه الحاجات وتلبيتها فى تلقائية سهلة تضفى على العلاقة بين الصغار والكبار حبا طبيعيا تنمو خلاله شخصية الصغار فى اتجاهها السليم .

أما طفل القرن العشرين الذى أصبح مجتمعه هو العالم كله ، والذى كثيرا ما يفتقد وجود أمه الساعات الطويلة كل يوم ، فقد افتقد أساسا هذا الهدوء المستقر الذى كان أخوه فى الماضى ينعم به ، كما باعدت ظروف المجتمع الجديد بينه وبين الكبار الى حد ما ، وساد جو العلاقة بينهم جو من التوتر فرضته أشياء لم يكن لهاوجود من قبل ، وكان من نتيجة هذا كله أن تعذرت نوعا ، لطفل اليوم ، تلبية الحاجات النفسية التى تملأ حياته دفئا

وامنا ، وهى بعد الحاجات التى كانت ميسرة لطفل الأمس .

وحيث أن الطفولة هى أشد المراحل أهمية بوجه عام، اذ يتقرر خلالها نوع الشخصية التى سيكون عليها الفرد فيما بعد ، فهى بمثابة الأساس الذى يتم عليه البناء الخاص بتكوين شخصية الفد ، أى المواطن الذى ترجو أن يكون ناجحا سواء أكان رجلا أم امرأة .

ولكى نستطيع أن نوفر السعادة والصحة النفسية لطفل اليوم وطفل الفد ، ينبغى أن تشبع احتياجاته النفسية وتساعده على أساس من الرغبة الصادقة والرعاية الرشيدة لحاجات الطفولة ، وفيما يلى أهم العوامل التى تساعد على تحقيقها :

(١) الصحة الجيدة

العقل السليم فى الجسم السليم ، والطفل الصحيح النبيه المتلىء حيوية ونشاطا يستطيع ان يواجه المشكلات اليومية ويحلها بسهولة ، ويستطيع أن يقاوم القلق والمخاوف أكثر من الطفل المعتل الصحة ، كما أنه سيتمكن من أداء الواجبات المطلوبة منه فى سهولة فيشعر بقدرته ، وبثقة فى نفسه ، وبالتالى يشعر بالطمأنينة .

أما ضعف الحيوية فيؤثر على ثقة الطفل بنفسه ، وذلك لعدم قدرته على عمل ما هو مطلوب منه ، وهو يجد صعوبة فى التوافق ويشعر بأن الدنيا صعبة ، وأن كل الناس تكرهه ، ويمكن مساعدة هذا الطفل لو عرفنا سبب

هذا الضعف . فقد يكون سوء التغذية وفقدان الشهية ، او تسوس الأسنان أو التهاب اللوز ، وكلها عوامل لا تبدو في شكل مرض يقعد الطفل ، ولكنها تضعف من حيويته ، فلا يستطيع أن يجاري زملاءه في اللعب ولا يستطيع ان يؤدي واجباته كاملة . فاذا عالجنا السبب واعطينا الطفل المقويات والفيتامينات زال عنه الضعف واكتسب حيويه تساعده على التوافق ويشعر بالسعادة والرضى ويقبل على الحياة في طمأنينة وأمل .

(٢) الحب والطفل

ان الحب للطفل هو الغذاء النفسي الذى تنمو وتنضج عليه شخصيته، وكما يتغذى جسمه على الطعام فان نفسه تتغذى على الحب والقبول . الحب المستنير الواعى الذى يبعث فى نفسه الاحساس بالاطمئنان والثقة والأمن ، هذا الحب الذى يدفعنا الى أن نقف منه موقف التشجيع والمساندة اذا ما احتاج اليهما فى كفاحه الدءوب لممارسة قدراته تحقيقا لحاجات نموه ، فلا تحرمه فى ان يقوم ببعض ما يود من لذة الاكتشاف والأداء اقتصادا للوقت والجهد . فاذا نجح فيما يقوم به ينبغى أن نشجعه ، واذا فشل ينبغى أن يلمس منا الهدوء والتشجيع على أن يعيد المحاولة من جديد . وبهذا النوع من الحب يبدأ يشعر بالثقة فى نفسه ومقدرته ، فتنمو معه حتى يكبر ، ليكون انسانا هادئا واثقا من نفسه فى غير خيلاء أو زهو ، قادرا على مقابلة تحديات الحياة فى فهم وعزم ،

سعيدا بما يحقق ، منطلقـــا الى المستقبل فى ايمان وتفاؤل .

لذلك ينبغى عند معاملة الأطفال معرفة وفهم الصـــفة الهامة للحب اللازمة لنمو شخصية الطفل السوى ، وهى التى تقوم على « حق الطفل لشخصه وليس لما يفعله » هذا النوع من الحب غير المشروط ، المتقبل للطفل على ما هو عليه لا يمكن الاستغناء عنه لنمو شخصيته ، بل هو الغذاء الهام اللازم لضمان سلامة الشخصية السوية فى المراحل المتقدمة من العمر .

اما اذا أعطى الطفل الاحساس بأن قبوله من آبائه ومدرسيه واصدقائه يتوقف الى حد كبير على ما يعمله ، فهذا الفهم الخـــاطىء والشائع عامل كبير فى احساس الطفل بالخوف ، وله تأثير غير بناء على نمو شخصيته ، ويعتبر السبب الأساسى فى كثير من المشاكل المستقبلة فى حياة الطفل .

اما الحب غير المشروط ، فهو الحب الذى يساعد على نمو الثقة بالنفس ويخلق فى الفرد احساسه الطيب نحو نفسه ، ويؤدى الى الشعور والرغبة الصـــادقة فى ان يحاول ويغامر فى حياته دون خوف من نتيجة الفشل . هذا هو النوع من الحب الذى يخلق الأبطال ويساعد على نمو أطفال واعين مدركين للحيـــاة . هذا الحب حيوى وهام وضرورى للطفل ولا سيما فى سنواته العشر الأولى من حياته ، وينبغى على الآباء منحه للطفل بسخاء فى هـــذه الفترة (وهذا لا يعنى أن هذا الحب غير هام فى مراحل العمر الأخرى من الحياة) فالفشل فى اقناع الطفـــل

فى فترات نموه بأن هذا النوع من الحب هو احساس والديه نحوه ، ويكون السبب الوحيد والهام الذى يؤدى الى انحراف شخصية الطفل فى مراحل الطفولة المتأخرة وفى المراهقة أو الرشد .

واخيرا ، فان قوة الخلق والشخصية والشجاعة والعزم والأمانة والاتزان والثقة بالنفس فى أن يكون الانسان خيرا ، انما تنبت كلها من شعوره كطفل بدفء الجو الذى يعيش فيه ومن خبرته بأن يكون موضع الحب والثقة والاحترام ، وبأن جهوده تلقى من المساندة والتشجيع ، ثم الثناء والتقدير ما تستحقه . وما أكثر ما يعرض للأسرة من فرص لتنمية هذه الفضائل فى صغارها كل يوم .

فاذا شئنا أن ينشأ أبناؤنا على الثقة والاطمئنان وأن يتجهوا الى العمل البناء فى تعاون وايثار ، وأن يجدوا السعادة فى البذل والعطاء فلنعطهم الحب الواعى المستنير ، الحب غير المشروط ، اذا شئنا لهم أن يعطوه لنا بدورهم فى غد . فلنعطهم الحب فان فاقد الشىء لا يعطيه ، ليكن حبنا لهم حب الايثار لا الأثرة ، حب العطاء لا الأخذ ، حب التضحية والبذل ، الذى ننسى فيه أنفسنا دائما ونذكرهم فيه أبدا ، حتى نمهد لهم السبيل ليكونوا الأفراد الذين نود ويود الوطن معنا أن يكونوا .

(٣) احساس الطفل بالامن :

ان احساس الطفل بالأمن يجعله يشعر بالاطمئنان

والراحة النفسية ، عندما يكون قريبا من أمه ويحتمى بها ، فيؤدى هذا الى زيادة ثقته بنفسه وبالعالم من حوله ، فى المراحل المختلفة . وفقدانه يؤدى الى الخوف والقلق والشعور بعدم الاستقرار والكراهية والنزعات العدوانية ، وان طفل اليوم فى أشد الحاجة الى هذا الاحساس كى تحقق له السعادة الحالية والمستقبلة .

(٤) علاقة الام بالطفل :

يعتبر حب الأم للطفل وعلاقتها به حجر الأساس فى توفير السعادة والصحة النفسية لطفل اليوم ، فالرضاعة من الأم والرعاية الكاملة لحاجات الطفل الأولية فى السنوات الأولى تعطى الطفل بداية طيبة فى الحياة وتعطيه شعورا بالامن وأطمئنانا ، وتمهد له السبيل الى الثقة بالنفس والتعرف على ذاتيته وتحقيق الشعور بالانتماء والطمأنينة : وهى الاسس التي يرى الطب النفسى ضرورة توافرها لكى ينعم المرء بصحة نفسية وسعادة ، تهيىء له فيما بعد سبل تنمية ما لديه من قدرات والتوفيق فيما سيقوم به من مهام ، والتعرف على السعادة وممارستها كخبرة حين تشع فى حياته الهدوء ، وتعينه على الاستمتاع اذا لقى النجاح وتعصمه من الانهيار اذا صادفه الفشل .

(٥) علاقة الاب بالطفل :

فى الدور الذى يستطيع الأب القيام به فى تنشئة أبنائه دور عظيم الأثر ، فلو قام كل أب بواجبه فى هذه

الناحية على النحو الذى ينبغى ، لكان لنا أن نرجو أن يجنى عالم اليوم خيرا أكثر من الأعوام السابقة ، وأن يتحرر أبناء الغد من كثير مما يشقى به أبناء اليوم من الانانية والغيرة والشعور بالنقص وعدم الاكتراث وقلة المبالاة بالغير والقسوة والشعور بالخطيئة والاثم والقلق والخوف وغيرها من النزعات السيئة التى تغزو النفس مع ما يلقى الطفل من أحداث كل يوم ، والتى تمهد لهزيمة صاحبها فى الحياة وتؤدى الى تقويض شعوره بالسعادة والامن . اذ أن بيد الأب لو أحسن القيام بدوره أن يفجر ما بنفسية الصغير من ينابيع الخير والشجاعة والحماس للحياة .

الأب وخلق المناخ الصحى الملائم للأسرة

ينبغى على الأب ان يجعل من وجوده فى حياة الأسرة سبيلا لكى يتعرف الصغار على حالة من صفات ايجابية يعنيهم التعرف عليها واكتسابها على تكوين شخصياتهم ونضجها . وفى هذا المجال فان الأبناء يكونون مثلهم العليا ، ولو بصورة جزئية على الأقل ، مما يرونه أو يظنون انهم يرونه فى الأب . فالأب الذى له وجود واضح وسليم فى حياة الأسرة يمكنه ان يمنع عن ابنائه الكثير من معوقات النمو وانحرافاته ، ذلك أن عدم وجوده معنويا أو ماديا ، قد يدفع الأبناء الى أن يكونوا عنه صورة خيالية مثالية لا تصلح من نظرتها خبرات الواقع الفعلى معه . فاذا كبروا وكان عليهم أن يواجهوا الواقع على حقيقته اصطدم ما يواجهونه فعلا بنقائصه وعيوبه مع ما تمثلوه من خيالهم بكماله وخلوه من العيوب ، فيؤدى هذا الاصطدام بين الخيال والواقع ، ربما الى حالات من اليأس تصيب الابناء بعد أن يكبروا ، مصحوبة اما بالاستسلام أو التمرد ونحن كثيرا ما نلقى فى عملنا امثال هؤلاء الناس الذين لا يستطيعون قبول الغير كما هم ، ويرون الخطأ الصغير وكأنه الخطيئة الكبرى ، عاجزين عن أن يروضوا انفسهم على قبول ما هو دون الكمال .

الآب وسلوك الطفل

اذا كانت التنشئة النفسية السليمة تقضى بأن ينمو الطفل فى جو مشبع بالحرية خال من القيود بقدر الامكان، فانها فى الوقت نفسه تقتضى أيضا بأن يمارس قدرا من النظام ، والنظام هنا لا يعنى القيد ولكنه يعنى الضبط . فاذا ألحت على الطفل بعض رغباته ، وهى لابد أن تلح عليه احيانا اندفعت به الى محاولة الانطلاق خارج الحدود التى تقتضيها مصلحته ، ففى وسع الأب ومن واجبه ، أن يعطيه فى حديث قصير ايضاحا لمدلول السلوك الذى يراد له قدر من الضبط ، والطفل كائن منطقى معتدل يستجيب اذا لقى الاحترام وعومل على مستوى انسانيته . اما معاملته على أساس الأمر والنهى والعقاب فانها تثير فى نفسه الكثير من أسباب الهم والقلق والخطيئة والعدوان فوق أنها تؤدى الى أن يرى الطفل أباه فى صورة التسلط الباطش الغاشم ، لا الموجه الصديق الهادىء وشتان ما بين الصورتين من تأثير فى نفس الطفل .

الأب وحاجة أبنائه الى تشجيعه وتقديره وتجنب النقد اللاذع والتفرقة بينهم :

ان الأبناء بحاجة أن يلقوا التشجيع ويطمئنوا الى الموافقة والقبول من ابيهم كى ينعموا بحياة فيها الشجاعة والتعاون . ان شعور الطفل بتقدير أبيه بما فعل خليق بأن ينبه فيه خير ما عنده وأن يبعث لديه الحماس للقيام بخير ما يستطيع . فكلمة التشجيع التى يحظى بهـا من أبيه متى أعطيت فى حينها هى الحجر الأساسى فى تكوين الثقة بالنفس وهى صفة لابد منهـا لامكان التقدم فيمـا بعد . ان قدرات الطفل تنمو على التشجيع وتخمد باللوم والتثبيط . وشعوره بأنه يلقى الثقة والتقدير والاحترام خليق بأن ينمى فى نفسه صفات الشـجاعة والعزم والاتزان ، وهى دائما من مقومات الشخصية الخلاقة .

وكذلك على الأب أن يتجنب ، ثم يتصدى ، لأى بادرة تفرقة فى المعاملة بين الأخوة ، وبين الولد والبنت ، فان هذا التمييز للولد هو البذرة الأولى التى تنبت منهـا وتتفرغ منها كل انحرافات العلاقة بين الجنسين فيمـا بعد .

ومهما يكن من شأن جو الاحترام فى الأسرة فانه لا يمنع ما يدور بين الأطفال فى الأسرة الواحدة من خلاف وواجب

الآب أن يساعد على حصر الخلاف فى أضيق نطـــاق مستطاع ، كما يعلم الصغار كيف يمـــكن ان يختلف الانسان مع غيره فى الرأى ثم يبقى على احترامه اياه ، وما أشد حاجتنا الى مثل هذا الدرس . فالأب الذى يضـــع نصب عينيه أن ينشىء ابنه على احترام الغير وحقوقهم ومعتقداتهم ، انمـــا يساعده على أن يطل على الحيـــاة من أفق واسع ، وعلى أن ينظر الى مسائلها ومشاكلهـــا بعين موضوعية متحررة من آثار التحيز والهوى .

الأب وضرورة عدم نقل هموم العمل الى البيت :

من الخير أن يذكر الأب دائما أنه لابد من الفصل بين العمل والبيت فصلا تاما بقدر الامكان . ومعنى هذا الفصل هنا الا ينقل الأب هموم العمل ومتاعبه معه الى البيت . ان البيت مكان يختلف كل الاختلاف عن العمل . هذا الى أن الصغار لا يستطيعون فهم هموم العمـــل ومتاعبه ، وبالتالى لا يستطيعون المساعدة فيها . ومن ثم فان ترك هموم العمل حيث هى أمر حتمى اذا شاء الأب أن ينهض بالتزاماته فى تنشئة الصغار على خير وجه . لانه اذا لم يفعل سيعجز عن أن يتفرغ لأبنائه كما يجب . والأطفال شديدو الحساسية فى هــذا الأمر . فان نقل همــوم العمل الى البيت خليق بأن يجعل الأب ضيق الخلق سهل الاستثارة ، وهذا امر قد يفسر بواسطة الصغار على انه حق لهم واعتداء عليهم لانه ليس فى وسعهم أن يفهموا باعثه الحقيقى ولا أن يروا له أى سبب آخر .

مما سبق نرى أن الدور الذى يستطيع الأب القيام به فى تنشئة أبنائه دور عظيم القدر والخطر . ولو قام كل أب بواجبه فى هذا الصدد على النحو الذى ينبغى لكان لنا ان نرجو أن يجىء عالم الغد خيرا من عالم اليوم ، وأن يتحرر أبناء الغد من كثير مما يشعر به أبناء اليوم .

(٦) العلاقات الأسرية السليمة :

ان الجو العائلى الهانىء الذى تسوده روح المحبة والتفاهم والتعاون بين جميع الأفراد يعطى الطفل شعورا بالاطمئنان والثقة بالنفس وتحميه من القلق والاضطراب النفسى ، والعلاقة بين الأبوين يجب أن تكون فى حالة وفاق ومبنية على الاحترام المتبادل والتعاون على مشكلات الحياة بحيث يضع كل منهما الآخر فى اعتباره دائما ، ويجب أن يكون لكل فرد من أفراد الأسرة قيمته واعتباره بدون تفضيل أحدهما عن الآخر ، فالكبير يعطف على الصغير ويساعده ، والصغير يحترم الكبير ويستشيره فى جو من الود والتفاهم .

أما اذا اضطربت الخلافات الأسرية ـ فالخلاف المستمر بين الزوجين يؤدى الى شعور الأطفال بالقلق وعدم الأمن وتوقع الانفصال وتحطيم الأسرة وتشريد الأطفال . وتفضيل أحد الأبوين لأحد الأخوة لكونه الأكبر أو الأصغر أو الأجمل أو الأهدأ ، وتفضيل البنين على البنات أو العكس يؤدى الى ظهور الغيرة بين الأخوة . وكذلك انحراف أحد الأخوة أو اضطرابه قد يعكر صفو الأخوة ويسبب اضطرابا كبيرا بين أفرادها .

مما سبق نرى أن للبيئة العائلية دورا هاما فى توجيه سلوك الطفل ومساعدته على أن ينظم دوافعه الوجدانية وعلى أن يكتسب العادات الحميدة التى تقوى الخلق ، ومن أهم هذه العادات ضبط النفس وحب النظام والتعاون وحب الغير . فالأسرة هى البيئة الأولى للانسان التى تمده

بالحوافز فى كفاحه الدوءب نحو التكيف ، أو تقيم المعوقات دون ذلك الكفاح . لذلك فانه من البديهى أن تحقيق النضج الانفعالى ، أى الوصول الى صحة النفس لا يمكن أن يتم الا من خلال طفولة منحت الحب والحنان والقدوة الطيبة والطمأنينة . فانه لا يستطيع أحد غير الوالدين تزويد الطفل بذلك الغذاء الوجدانى الذى لا غنى عنه لصحة النفس .

(٧) الاختلاط بالمجتمع والأطفال الآخرين

الاختلاط يساعد الطفل على النمو السليم والتعاون ويشعره بأنه ينتمى الى مجموعة كبيرة تحميه وقت الحاجة ، وفى ذلك شعور بالأمن والاطمئنان ، كما أن اختلاط الطفل بالآخرين يحميه من الانسياق فى الخيال والانحراف فى التفكير .

اما حرمان الطفل من المؤثرات الخارجية والاجتماعية ، والاختلاط بالأطفال الآخرين فيعوق نموه الاجتماعى فينشأ منطويا ، انانيا ، لا يستطيع التعاون مع الآخرين ، ويشعر بالقلق وعدم الاطمئنان لعزلته عن أخواته . وقد تلجأ بعض الأسر الى عزل اطفالها وخاصة البنات وذلك تمسكا بالتقاليد وعدم مسايرة الأسرة لتطور المجتمع ، ويؤدى هذا الى ضرر كبير على الصحة النفسية ويعوق التكيف الاجتماعى .

لذلك فعلى الأباء والأمهات اذا وجدوا فى أحد أبنائهم اية أعراض ولو بسيطة للاضطراب النفسي أو الاحساس

بالنقص وعدم الثقـــة بالنفس ، عليهم أن يدفعوه الى الالتحاق بالنوادى العامة أو الخاصة حيث يجد عـددا كبيرا من أبنـاء جيله فيعرفهم ويعرفونه ويصـادقهم ويصادقونه ، الأمر الذى يمنح الثقـــة بالنفس وعدم الاحساس بالنقص . ولكن المهم جدا قبل اتخاذ هـذه الخطوة فى مساعدة الطفل على التخلص من عقده ، أن يبدأ الآباء والأمهات بجذور المشكلة ، فيعالجوا أخطاءهم فى تربيتهم لأبنائهم ، ويعملوا على أن يشعروا الطفل بأن له والدين محبين مخلصـــين ، راضين به على علاته ، حريصين على سعادته ، وراحة نفسه بصرف النظر عن حظه من الميزات أو العيوب .

هذه هى الخطوة الأولى الهـامة ، وبعدها يأتى ادماج الطفل فى الحياة الاجتماعية المناسبة له حيث يلتقى بأبناء جيله ، ويكتسب من صـداقتهم له الشـعور بوجـوده وانسـانيته .

(٨) فهم حاجات الطفل النفســية فى كل مرحلة

ينبغى أن يدرك الآباء أهمية فهم حاجات الطفل النفسية فى كل مرحلة ، والعمل على اشباع هذه الحاجات فى الوقت المناسب لها كى يتم تحقيق الســعادة والصحة النفسية له . فمثلا الطفل فى السنة الأولى يحتاج الى حماية تامة ورعاية كاملة من الأم ، ويحتاج الى اشباع حاجته الأولية بانتظام مثل الطعام والنظافة والحنان .

أما الطفل فى سنوات الطفـولة المبـكرة فيحتاج الى

مجال لاشباع حب الاستطلاع ومساعدته على تنمية قدراته الذهنية واللغوية .

أما طفل المرحلة الابتدائية فيحتاج الى تعلم النظام والاستقلال والاعتماد على نفسه ، واشباع هذه الحاجات فى الوقت المناسب لها ينتج طفلا متزنا سليما .

مما سبق يمكننا أن ندرك أهمية الحياة الانفعالية والاجتماعية للطفل ، فحياة الطفل من جميع زواياها العقلية والنفسية والاجتماعية متساوية فى الأهمية وتحتاج الى الرعاية والاهتمام من البداية . فاذا وفت كل ام وكل أب بما تقتضيه منهما تنشئة الصغير على أساس الرغبة الصادقة والرعاية الراشدة لحاجات الطفولة لتحقيق الصحة النفسية له لبدا لنا شعاع من الأمل بأن طفل الغد سيكون خيرا من طفل اليوم .

فهرس

صفحة

الترقيم الدولى ٦ـ ٦٩ ـ ٧٠٣١ ـ ٩٧٧ ISBN
رقم الايداع بدار الكتب والـــوثائق القومية ٨٠/٣٠٩٦

وكلاء اشتراكات مجلات دار الهلال

جدة – ص . ب رقم ٤٩٣
السيد هاشـــم على نحاس
المملكة العربية السعودية

انجلترا :

THE ARABIC PUBLICATIONS
7. Bishopsthrope Road
London S.E. 26
ENGLAND

البرازيل :

M. Miguel Maccul Cury.
B. 25 de Maroc, 994
Caixa Postal 7406,
Sao Paulo. BRASIL.

أسعار البيع للجمهور فى البلاد العربية للاعداد العادية من « كتاب الهلال » الشهرى بسعر ٢٠ قرشا للقارىء فى مصر .

سوريا : ٣٠٠ ق.س ثلاثمائة قرش سورى
لبنان : ٢٥٠ ق.ل « مائتان وخمسون قرشا لبنانيا »
الاردن : ٢٥٠ فلسا « مائتان وخمسون فلسا أردنيا »
الكويت : ٣٥٠ فلسا « ثلاثمائة وخمسون فلسا كويتيا »
العراق : ٤٠٠ فلس « اربعمائة فلس عراقى »
السعودية : ٢/١ ٤ ريال « اربعة ريالات ونصف ريال »



هــذا الكتاب

المشاكل النفسية للاطفال والاولاد موجودة في كل بيت • يقولون ان ثلاثين في المائة منهم يشكون من هذه الامراض • لهذا اخترنا هذا الكتاب لهذا الشهر لعلنا نستطيع ان نقدم به خدمة للاسرة العربيـــة بصفة عامة ، لان الحقيقة ان الظروف التي يعيش فيها الصغار والشباب في مصر ظروف قاسية ، فالصغار يعيشون في بيوت كابية اللون فقيرة المظهر كثيرة الضوضاء غاصة بالعيال ، والصغير دائمـا ضائع ولا مكان له من حب أو عناية حقيقيتين ، والاولاد في مداخل الشـــــباب وينظرون الى مستقبل غير سعيد ينتظرهم فيملأ نفوسهم اليأس • ثم ان الاباء والامهات يستغرقهم صراع العيش فلا يجـــدون الوقت الكافي لعلاج مشاكل الاولاد النفسية ، انهم يعتقدون ان كل المطلوب منهم هـو الغذاء والكساء ومصاريف التعليم ، وهذا في ذاته كثير ، ولكنه ليس كل شيء ولا اهم شيء • اهم شيء هو الراحة النفسية للاولاد • الشعور بانهم في اسرة تشاركهم كل مشاعرهم ومتاعبهم • وربما كان اهم شيء هو أنهم لا يصنعون مستقبلهم بانفسهم ، بل نحن نصنعه لهم •

هذه نماذج من المشاكل التي تعالجها الدكتورة كليـــر فهيم في كتابها القيم هذا وهي تعالجها معالجة طبيبة ممارسة •• من ثم فان كل ما تقوله له وزنه واهميته • هذا الكتاب هدية لكل اسرة •